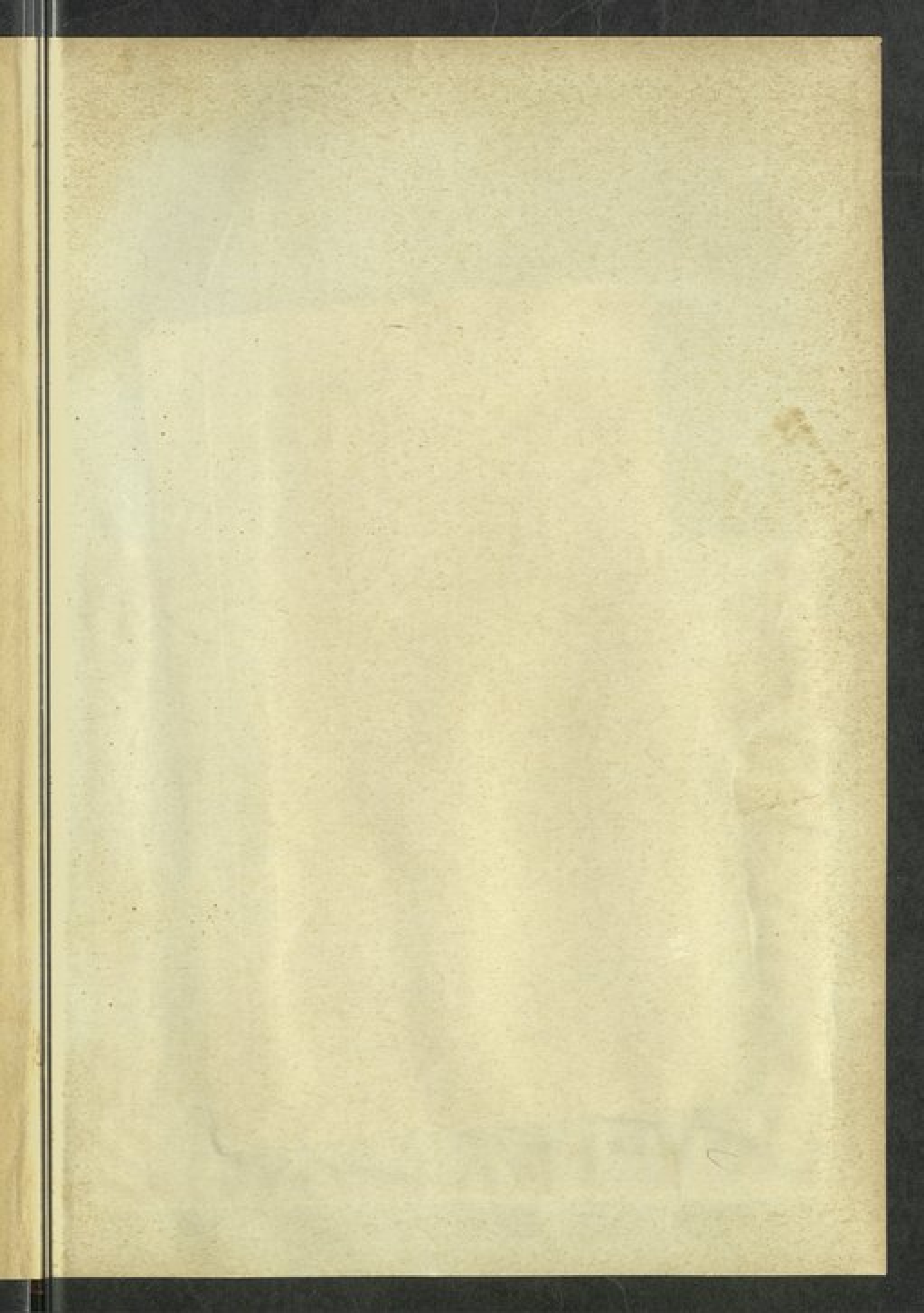
طوقان

وعي المستقبل



قدري حافظ طوقان



وعي المستقبل

دار العلم للملايين
بيروت
١٩٥٣

الطبعة الاولى

بيروت ، نيسان ١٩٥٣

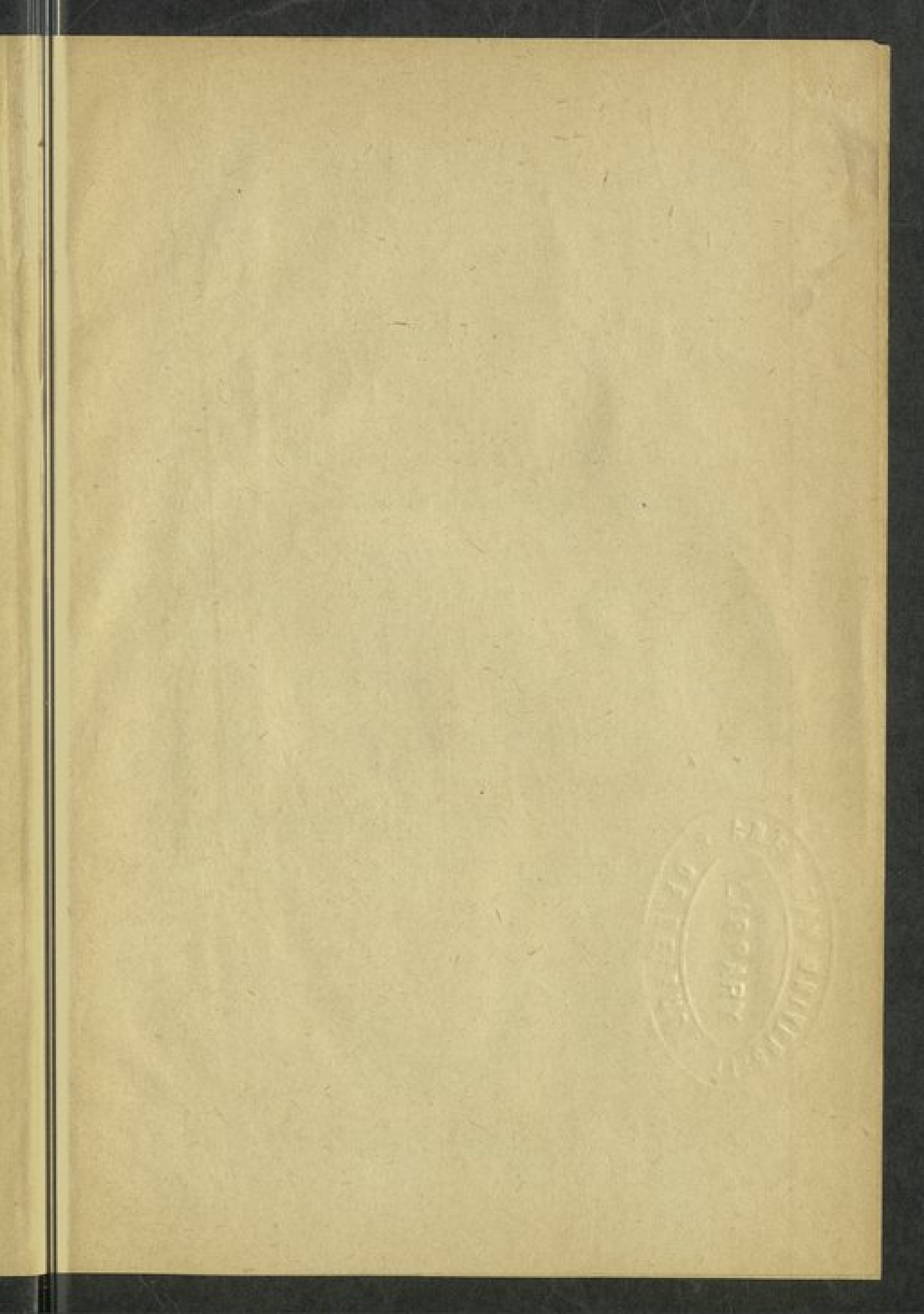
مقدمة

•

يضمّ هذا الكتاب عدداً من المحاضرات والمقالات والأحاديث التي هيأتها في مناسبات مختلفات ، وأملتها الاوضاع والاحداث في البلاد العربية . وهي تتصل بالتوجيه القومي والحياة والاستعمار ، وأساليب الخلاص من المستعمرين والتحرر من سلطانهم ...

وقد ظهرت مواد هذا الكتاب في الصحف والمجلات في الاردن وسوريا ولبنان والعراق ومصر ، ورأيت ان اجمعها في كتاب بعنوان « وعي المستقبل » ، وكلي امل ان يجد فيه الشباب العربي ما يبصّرهم بالمستقبل ، ويرهف إحساسهم به ، ويعينهم على تكوين اسلوبٍ سامٍ يعيشون وَفْقَهُ .

آذار ، ١٩٥٣ قدري حافظ طوقان



الشعور بالمستقبل

•

يمتاز العرب بعدم الشعور بالمستقبل وعدم احساسهم به ، فهم لا يفكرون الا في الحاضر ، قد تركوا المستقبل للاقدار والطبيعة غير حاسبين له اي حساب . فهم في الحاضر الذي يعيشون فيه ، لا يكلفون انفسهم مشقة العناية به او الاستعداد له . ولماذا الاستعداد او الاحتياط ..؟ فلقد أتقنوا الارتجال وتمرّسوا به ، واصبح الشعور بالمستقبل بعيداً عنهم وغريباً عليهم ، فجاءت اعمالهم تدلل على ذلك وكان الفشل الذي اصابهم في جميع نواحي الحياة نتيجة طبيعية لهذا كله .

ولست مغالياً اذا ذهبت الى ان عـدم احساس العرب بالمستقبل من العوامل التي جلبت عليهم النكبات في بلادهم والاخفاق في الميادين الدولية والسياسية .

ولا شك في ان الشعور بالمستقبل او الاحساس به عامل من عوامل نجاح الغرب وسيطرته على الطبيعة . فالغربيون يفكرون في المستقبل ويعملون على الاستعداد له ويهيئون انفسهم لاحداثه ، ويبذلون الجهود في الاحتيـاط والتبصر بما يخبئه بين طياته من حوادث ومفاجآت .

وقد يسأل احد الناس : وما السبب في هذا التباين في الطباع؟ يقول علماء النفس ان الشعور بالمستقبل او الاحساس به ملكة خاصة تلازم بعض اجناس البشر ، بل انها تنمو وتقوى عند بعض الامم وتقف جامدة عند أمم اخرى . ويرى علماء النفس ان للعوامل الجوية وبرودة المناخ اكبر الاثر في قوة الاحساس بالمستقبل . قد يكون في هذا بعض الصحة . وقد يكون في ما يقوله علماء النفس حول تعليل وجود الشعور بالمستقبل عند اقوام وانعدامه عند آخرين شيء من الوجاهة . لكن هـذا الشعور يزداد ويقوى ، تبعاً للاساليب التي تتبعها الامم في التعليم والتربيـة ويتأثر الى حدود بعيدة بالروح التي تسود المناهج وبالطرق المتبعة في التعليم .

ان مايمتاز به العرب من انعدام الشعور بالمستقبل عندهم لا يعود الى عوامل جوية او مناخية او طبيعية خاصة في بلادهم ، بل يعود – كما ارى – الى الاساليب التي يتبعونهـا في حياتهم وفي حل مشاكلهم ، تلك الاساليب التي انتجت الارتجال والفوضى في اعمالهم ونواحي نشاطهم .

إن العرب لا يمكنهم التحرر من المقاييس الماضية ، وليس في امكانهم تحرير العقل – كما انه لا يمكنهم تربية الشعور بالمستقبـل وتنمية الاحساس به والعملُ للغد والاستعدادُ لحوادثه ومفاجآته الاّ إذا اخذوا بالعلم واسلوبه وعاشوا بالعلم واستخدموه في التربية . فالطريقة العلمية – إذا تفهم الجيل معانيها وتشرّب روحها – فانها تعينه على فهم الحياة وتدفعه الى السيطرة على الطبيعة ، فينظر الى المستقبل بدلاً من الماضي ويقوى شعوره به ، ويتحرر من المقاييس

الماضية والمقاييس غير المضبوطة، ويكون نموه متصلاً وإحساسهُ بالمستقبل مستمراً ونامياً .

لقد نزلت كارثة فلسطين بالعرب اجمعين ، فكانت نتيجة حتمية للأوضاع والأساليب التي اتبعها العرب في الجهاد والحياة . فهي بعيدة عن العلم لم تقم على أساس بل تقيدت بمقاييس الماضي واغراضه فكانت الفوضى في الاعمال، وكان الارتجال في السياسة والاتجاهات. لقد كان الوضع في فلسطين ينذر باوخم العواقب، وكانت الاخطار تهدد البلاد العربية عامة وفلسطين خاصة ، فماذا عمل العرب .. ؟

لم يحسبوا حساباً للغد، ولا لهذا كله، وراحوا يكيدون لبعضهم وينشرون على الناس مشاحناتهم وخلافاتهم ، ووقعت الكارثة فلا استعداد ولا احتياط .

وكانت الاهوال ... وقد انصبت على العرب فطعنت كرامتهم، واضاعت اجمل بلادهم، وشردت مليوناً من البشر يهيمون في جواء من الفاقة والبؤس والشقاء . . . فلو كان عند العرب احساس بالمستقبل وساروا في كفاحهم على اسس من العلم والتنظيم لاستعدوا واعدوا العدة ودفعوا عن انفسهم وبلادهم المصائب والاهوال.

ان عدم اتباع الطريقة العلمية في الحياة وفي حل القضايا الاجتماعية والمشاكل السياسية قد ادى الى ضعف الشعور بالمستقبل، فنتج عن ذلك الارتجالُ الذي نراه متغلغلاً في اعمال العرب . ولو كان المسؤولون هنا وفي البلاد العربية متشبعين بالروح العلمية، مدركين لأهمية الاسلوب العلمي واثره في تقوية الاحساس بالمستقبل، لساروا في حياتهم على أسس من الاحتياط والاستعداد ولأعدوا امكانياتهم

وحيويتهم على دعائم من العلم والتنظيم . والذي لا ريب فيه ان جهل العرب بالطريقة العلمية وابتعادهم عن العلم قد مكن الاعداء منهم واكسبهم الجولة الاولى عليهم . وكيف لا ينتصر الاعداء وقد تسلحوا بالعلم ولجأوا الى اساليبه وطرقه فاستعملوها على نطاق عريض ، بينما سار العرب على المقاييس الماضية وباسلوب تحيط به الفوضى خالٍ من التنظيم والدقة، ولم يلجأوا الى الاستقرار في معالجة المشاكل والقضـــايا ، كما انهم لم يعتمدوا البحث والدرس والرقم في اعمالهم وتعيين اتجاهاتهم واهدافهم .

ولا شك ان هذه الاوضاع، والفوضى، وهذا البعد عن الاسلوب العلمي قد نتجت عن الجهل والتقيد بالماضي ومقاييسه ، واضعفت الاحساس بالمستقبل، وجعلته احساساً واهياً لا يحفز الى استعداد، ولا يدفع الى عمل او احتياط .

وهنا ، ونحن في هذا البحث ، لا بد لنا من القول ان الشعور بالمستقبل لا يتم ولا يكون مثمراً الا اذا صاحبه شعور بالمسؤولية، فهذا الشعور هو من مقتضيات ذلك الشعور وهو من عوامل النجاح واسباب التقدم . وقوة الشعور بالمسؤولية في الجماعات والافراد دليل على رقي المجتمع وحيويته . فالشعور القوي يدل على النضج واتساع الافق . والشعور الهزيل يعني التأخر وضيق الأفق ومحدودية الاهداف والغايات . وإن وجود الشعور بالمسؤولية عند الافراد تجاه بعضهم وتجاه المجموع لمما يدفع الامة الى التقدم ويدلل على امكانياتها في رفع المستوى والنمو المتواصل. ذلك لأن هذا الشعور يحفز الفرد الى الاهتمام بكل ما يتعلق

بالصالح العام والمصلحة المشتركة ، كما يدفعه الى ان يعتبر نفسه جزءاً من كل : خيره من خير المجموع ، وتقدمه في تقدمه ، وصلاحه بصلاحه .

والشعور بالمسؤولية يحتم على الفرد ان لا يتساهل في الحقوق العامة ، وان لا يتهاون في ما يصيب البلاد من ارهاق وظلم ، بل يدفعه الى ان يندفع في احترام الحقوق ودفع الظلم والارهاق . وان يتسامى في تفكيره ويتعالى في مراميه فتتفتح مواهبه وتزدهر عواطفه فاذا الخير العام هدفه والصالح العام غايته .

ولا شك ان ضعف الشعور بالمسؤولية عند العرب كان عاملاً من العوامل الرئيسية التي اوقعتهم في مهاوي النكبة والاخفاق . فلقد ادى هذا الضعف الى غايات محدودة في دائرة ضيقة من المصالح الخاصة ، مما جعل الفرد منهم لا ينظر الى الامور والمشاكل الا من زاوية الانانية والفردية . فلم يكن هناك اي تقدير للنتائج ، ولا حساب لما تتمخض عنه الحوادث وآثارها البعيدة والخطيرة .

ان الشعور بالمسؤولية يقيد اعمال الفرد ونشاطه ويجعله يشعر بأنه ليس حراً في حركاته ، فهو مقيد في حريته بانواعها ، عليه ان يسيرها في دائرة الصالح العام .

والامة او الجماعة ، لا تسمو حياتها ولا تكون نامية مثمرة الا اذا كان افرادها مقيدين بقيود من حدود الله وصالح الوطن ، شاعرين بالمسؤوليات والامانات الملقاة على عواتقهم . فمواهبهم وما تنتج هي ملك للوطن والانسانية ، وعليهم ان يوجهوها توجيهاً يكفل اعلاء شأن الجماعة وانقاذها مما تتخبط فيه . وواجب المعاهد والهيئات والمفكرين واصحاب الاقلام ان يعملوا على ان يُشعروا الفرد

مايقع عليه من تبعات ، وما تفرضه عليه المصلحة العامة ، وان ما ينتجه سواء أكان الانتاج مادياً او فكرياً ، وما يقوم به من اعمال وما يصرفه من جهود في مشاكل الحياة لاينحصر اثره في نفسه او خاصته ، بل ينتقل الى المجموع في امته ووطنه . ولست بحاجة الى القول ان الفرد اذا وضع ذلك امامه واخضع سلطان الاثرة والانانية لوحي ضميره ، ووضع صالح الجماعة فوق صالحه ، وادرك ان الامة هي اسرته والوطن بيته ، والناس اخوته - اقول اذا وضع هذا امامه وسار في حياته على هذا الاساس وفي هذا النطاق فقد ارتفع بمستوى نفسه وجعل حياته نامية غزيرة حافلة بمعاني السمو والخير .

ويحضرني في هذا المقام حديث نبوي من جوامع الكلم وروائع القول ، قد صور فيه الرسول الكريم الشعور بالمسؤولية واثر التهاون فيه في حياة المجموع ابلغ تصوير . قال عليه السلام : « ... مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها . وكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم . فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا . فان تركوهم وماارادوا هلكوا جميعاً ، وان اخذوا على ايديهم نجَوا ونجَوا جميعاً ... »

ومما لا ريب فيه ان السكوت على الظلم والاستهتار بالحقوق والاستخفاف بالمجموع جناية وجريمة في حق الوطن ، ففي هذا السكوت مايدفع الى التمادي في ايذاء البلاد والمواطنين . وان الواجب القومي والمصلحة الوطنية يحتمان على الفرد ان لايقف جامداً

وان يحرك جهوده ويوجه حيويته في رفع الظلم ، وفي الاصلاح واحترام الحقوق. وهذا من مقتضيات الشعور بالمسؤولية وعناصرها. فلا معنى للشعور اذا لم يقم على هذا الاساس ، ولا قيمة له اذا لم يثمر ثمراً و يُصلح حالاً .

ولا تقف الامور عند هذه الحدود ، بل ان الانسان ليس حراً فيما يعمل .. وليست جهوده ومواهبه وقفاً عليه ، فللأمة حق استغلالها والاستفادة منها لما يعود عليها بالتقدم والارتقاء . وفوق ذلك فهو مسؤول كذلك عما يرى من منكر وعما يقترفه غيره في حق الجماعة . وعليه ان يغيّره بيده . فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك اضعف الايمان ...

ونحن في هـذه الايام لسنا بحاجة الى اضعف الايمان ، بل اني اذهب الى القول ان « اضعف الايمان هذا ... » قد جرّ علينا الويلات والمشاكل ... إننا بحاجة الى شعور قوي بالمسؤولية يخلق فينا الجرأة والشجاعة لمقاومة الاوضاع الشاذة ورفع الظلم النازل . وهذا لا يتأتى الا اذا آمن الواحد منا بنفسه والوطن ، وادرك ان الحياة هي، في صميمها ، كفاح في سبيل المجموع وتقدمه وصلاحه ، وان الكفاح على غير هذا الاساس كفاح لا ثمر له ولا اصلاح معه ولا خير فيه .

ليس لأحد ان يتصرف بما يملك من بيع او شراء ، وان يقول هذا ملكي أتصرف به كيف اشاء ، اذا كان في هذا إجحاف بحق الوطن والبلد الذي يعيش فيه .

وليس لأحد ان يستغل ويحتكر اذا كان في هـذا ضرر على

المجموع وسلب لحقوق الاخرين . بل ليس لجماعة ان تستهتر بالناس وحقوق الناس وتستبد بمصائرهم وترهقهم في مادياتهم ومعنوياتهم . وعليها ان ترجع الى المجموع تستشيره في خيره وصلاحه ومستقبله ، وان ترفع عنه القيود وتزيل من امامه السدود ليتمكن من الانطلاق والعدو مع الزمن والحضارة . والواقع ان الشعور بالمسؤولية ، اذا قوي عند الافراد والحكومات في البلاد العربية، فانه يدفع العرب دفعاً الى التقدم ويريحهم من كثير من العناء المحيط بهم ، كما يرفع عنهم الضغط الذي يرهق العقول ويبلبل التفكير .

ويدفعني الاخلاص للحق الى القول ان ما يسود البلاد العربية من فوضى في الحكم وبلبلة في الانظمة وحيرة في التوجيه — يعود الى عوامل عديدة ، وهو نتيجة لتفاعلات مختلفة ، اهمها ضعف الشعور بالمسؤولية ، فلا تجد بين الحكومات العربية من يؤمن بهذا الشعور، ولا من يدرك رسالة الحكم والنظام حتى لقد اختلت الموازين واضطربت الانظمة والمقاييس . وسار المسؤولون على أسس فردية وشكلية وآنية . فهم لا ينظرون الى معالجة المشاكل والقضايا من زاوية المجموع ، بل من زوايا ضيقة حادة تتصل بالمصالح الخاصة ، ولا يفكرون في روح الحكم وغاياته بل يعتبرون الشكليات الاساس والجوهر . كما انهم لا يبعدون في تفكيرهم ولا يعنيهم من الاحكام والانظمة وتصريف الامور ، إلا ما يتصل بالأثر الآني والوقتي لا بالآثار البعيدة وتفاعلها مع المجموع .

والحكم عند كثيرين من المسؤولين في البلاد العربية ، نوع من التسلية واللهو ، وعند أمم الغرب عبء ومسؤولية واثقال .

فأين نحن من اولئك ؟ ولهذا لا عجب اذا وجه المسؤولون (في الاقطار العربيـــة) العناية الى الشكليات والقرارات السطحية والتصريحات .

ولقد لعب بعض المسؤولين مدة من الزمن على مسرح الجامعة العربية وقاموا بأدوار كلها لهو وتمثيل وتهريج ، فصرحوا وصاحوا وهددوا وتوعـــدوا ، فدللوا بذلك على نقص معيب في الشعور بالمسؤولية . ووقعت النكبة وحلت بهم اجمعين . وحسن الظنّ ، وقال الناس وقلنا مع الناس : لعل النكبة قد أثقلت على العرب وأثرت في معنوياتهم وجعلتهم يدركون ان رسالة الحياة (في هذا العصر) لا تتم الا باتباع اساليب كفاحية جديدة تقوم على الاحساس بالمستقبل والشعور بالمسؤولية .

ولكن يظهر ان الادراك لم يتم بَعْد ولم يصل الى الحد الذي نرجوه . وها هم المسؤولون يصيحون ويهددون ويتوعدون ويصرحون حتى بعد النكبة ، ويملأون اعمدة الصحف ويزعجون الجواء بتعليقات وبيانات وآراء تتميز بطفولة في التفكير وبُعد عن روح العصر. يصرحون لرجل الشارع ويخطبون للاستهلاك المحلي ، فلا المصالح العامة في حسابهم ، ولا خير المجموع من اهدافهم .

وهذا ولا شك من عوامل ضعف العرب وضآلة وزنهم في الميزان الدولي واستهتار الغرب بهم وإقدامه على استغلال بلادهم وكنوزهم وخيراتهم .

●

ان العرب في سائر ديارهم يواجهون اوضاعاً شاذة ومشاكل

خطيرة توجب على كل منهم ان يدرك واجبه ويشعر بمسؤوليته تجاه المجموع ، كما تحتم عليه ان يتقـــدم الى الميدان بروح العصر ، مسلحاً بالعلم من جهة ، وبالجرأة والشجاعة من جهة اخرى ، ويعمل في الاصلاح والبناء . وقد يقوده ذلك الى متـاعب ومشاكل ، لكن ذلك يجب ان يهون في سبيل الصالح العام والعقيدة والخير العام . وعليه ان يجعل من تلك المشاكل والمتاعب قوى تشحذ الهمة ، وتضاعف الرغبة في مواصلة الكفاح ، وتدفعه الى الايمان بواجبه في الانتقاد الانشائي والاندفاع الاصلاحي والبنائي ، لا في دائرة خاصة ضيقة ، بل في دائرة واسعة تشمل وطنه والوطن العربي الكبير .

•

ان هذا العصر لهو عصر العلم فمن لم يأخذ بالعلم ويسر على طريقه ويتبع اساليبه فقد تنكر لروح العصر ، وحاد عن التقدم ، وقاوم تيار الحضارة . وعندئذ ينتهي به المطاف الى الخمول فالموت .

والامة التي تبغي حياة وتريد المحافظة على كيانها وبناء مجتمع فعال منتج ، عليها ان تستخدم العلم في التربية لتتمكن من الخروج بافعل النتائج من احساسها بالمستقبل ومن شعورها بالمسؤولية وتهيئة امكانياتها على نطاق واسع لما فيه تقدمها ورقيها . ذلك لأن هـذا الاحساس وذلك الشعور لا يمكن ان يعودا على المجموع بالتقدم الشامل الا اذا تشبع حاملها بالروح العلمية ، وآمن بالاسلوب العلمي ، وتقيد في تصرفاته ونشاطه بالعلم وطرائقه . ولهـذا وجب على المسؤولين التشديد على الطريقة العلمية وادخالها في المناهج التعليمية والاهتمام بالنواحي التجريبية من بعض العلوم فتتحرر العقول من

التقيد بالاغراض المألوفة ومن المقاييس غير المضبوطة ، وتنطلق في ميادين التقدم ، وينمو عنده الاحساس بالمستقبل والشعور بالمسؤولية، وتتفتح بصيرة الانسان لفهم المشكلات القائمة ، ويستنير ذهنه، وتنكشف امامه الحقائق التي تساعده على ادراك ما يجري حوله في عالم العمران والاقتصاد . وان الثورة الصناعية هي ثمرة العلم التجريبي ، والاختراعات ليست سوى شواهد على تطبيق العلم على الحياة . وقد خرجت من الاسلوب العلمي ونبعت من الحقائق التي كشف عنها هذا الاسلوب .

ولا تقف مزايا الطريقة العلمية عند هذا الحد ، بل ان هذه الطريقة تساعد على ازالة آثار التقاليد والعادات وتهيء للنمو المستمر والتطور المتواصل ، فتجنب المتشبع بروح العلم كثيراً من الارتباك الذهني في السياسة والاقتصاد مما يساعد على حل المشكلات والقضايا حلاً سليماً يقوم على الاستقراء والرقم والتجربة والتمثيل . وفوق ذلك فالاسلوب العلمي او الطريقة العلمية ، هي في صميمها مدرسة للخلق العالي،فقواعدها التجرد عن الهوى،والانصاف بين الآراء العلمية والصبر، والمثابرة في التجربة والامتحان، ونكران النفس في سبيل الحقيقة — وهذه الصفات التي يجب توفرها في الباحث هي الصفات التي تسير مع الخلق العالي والتي يتحتم على الانسان ان يهتدي بها في حياته ونضاله .

والذي لا شك فيه ان الاسلوب العلمي يساعد على تنمية الشعور بالمستقبل ويصقله ، كما يزيد في حساسية الانسان لمسؤولياته ويرهفها فيسير في حياته وكفاحه على اسس من ذلك الشعور وتلك الحساسية

وقد اخضعها للعلم واساليبه،فيخرج بأطيب الثمار لمواطنيه وبني قومه، وافعل النتائج لوطنه وبلاده .

ومن هنا تتجلى الفوائد المادية والمعنوية التي يجنيها الطلاب والناس من تشبعهم بالروح العلمية،وتفهمهم الاسلوب العلمي ،وتبصرهم بمعانيه وادراك أثره في صقل الاحساس بالمستقبل، وارهاف الشعور بالمسؤولية ، وفي تقدم الفرد ، وصلاح المجموع .

الشعور بالنقص

●

يحاول الانسان ، على شعور منه او على غير شعور ، ان يعوّض ما يصيبه من نقصٍ مادي في جسمه او معنوي في سمعته ومواهبه. وقد يُوفق في هذا الاسلوب التعويضي ، وقد لا يُوفق . ففي بعض الأحايين يجره الاسلوب الى شذوذ في المعاملات والسلوك لا يخدمه في الارتقاء او سد هذا النقص . وربما تبعه أذى ولحقه ضرر من ذلك فتظهر شخصيته للناس هزيلة وتبدو مواهبه واهية قاحلة. وفي حالات قليلة يكون هذا النقص حافزاً للعمل والنبوغ. إنّ في احساس المرء بالنقص ما يدفعه الى الانتاج والاثمار فيحجب عن الناس ذلك النقص ويبرز لهم عمله ونتاجه . ولا شك ان هذا دليل الكفاية الذهنية والقابلية التكيفية .

وليس المقام الآن مقام تفصيل هذا الشعور ولا تبيان عوامله. وسيقتصر حديثنا على الشعور بالنقص الذي يصيب الجماعة ويؤثر في سلوكها وكفاحها .

ولا بدّ لنا قبل البحث في ذلك من الاشارة الى مقاومة هذا الشعور .

فالمقاومة على انواع : منها ما هو سافر يظهر كثيراً في الحياة

العامة ، ومنها ما يكون متخفياً إذ يتخذ من الاساليب التعويضية ما يخفيه على الناس . وفي بعض هذه الاساليب ما هو سخيف في شكله وموضوعه ، وفي بعضها الآخر ما هو عقل وحكمة ، وقد أملته كفاية ذهنية وعقل نامٍ مزدهر .

وما يهمنا في هذا المقام هو الشعور بالنقص عند العرب كجماعة تعيش في هذا العالم ومن المفروض أن تؤمن بحقها في الحياة وتدرك رسالتها .

•

لقد رزح العرب اكثر من خمسة قرون تحت حكم الاتراك كما رزحت اكثر اقطارهم مايزيد على ثلاثين عاماً تحت حكم الاستعمار . وقد أدّى ذلك الى تخلف العرب عن ركب الحضارة وابتعادهم عن التقدم والارتقاء . وهذا ولا شكّ نتيجة حتمية للضغط وأساليب الاستعمار . وليس من الطبيعي ان يكون اندفاع العرب في ركب الحضارة بالقوة التي نراها عند أمم الغرب ، ذلك لأن العقلية لا تزال تعاني من الضغط التركي والاستعمار الاوروبي ، وهي بحاجة الى بعض الوقت لتتخلص من هـــذه الآثار . ويدفعنا الانصاف الى القول اننا لا ننتظر من العرب ان يكون تطور العقلية عندهم فعالاً ومنتجاً كالتطور الذي اصاب العقلية الغربية فجعلها تسبق العرب في ميادين الحضارة والعمران مراحل عديدة .

والذي أريد تأكيده هو ان تخلف العرب عن ركب المدنيـة وتقدم الغربيين عليهم في سائر المبادىء قـــد أوجد عندهم شعوراً بالنقص فهم متأخرون وغيرهم في تقدم ، وهم دون غيرهم في الاختراع

والاكتشاف والفكر والاثمار . فأصابتهم شكوك في قابلياتهم وتوزعَ ايمانهم بقدرتهم وتاريخهم ، وراحوا على غير شعور منهم يلجأون الى أساليب يعوّضون بها هذا النقص المتركز في تأخرهم وتخلفهم عن ركب الحضارة . فكان اهتمامهم بالشكليات، وكانت عنايتهم بالقشور ولم يلتفتوا الى الاسلوب العلمي ولا الى المفاهيم الجديدة عند الغرب، ولا إلى الطرق القويمة والسلوك السليم في معالجة المشاكل وقهر الصعاب، ولا الى المناهج التي تؤدي الى النمو المتصل والتقدم المستمر . وقد دفعهم هذا كله الى غرور طغى عليهم وأبعدهم عن الحقائق ، والمفاهيم الحديثة ، فأساؤوا فهمها وتقديرها فاضطرب تفكيرهم واختل منطقهم، فوقفوا جامدين امام الاحداث لم يواعوا روح العصر ولم يسيروا على هدي العلم في روحه وأسلوبه، فكان تقهقرهم عظيماً وتخلفهم عن المدنية كبيراً .

ولم يستطيعوا تكييف عقولهم وانفسهم للمفاهيم الحديثة وروح العصر ، فاستهان بهم الغرب وغلبهم على أمرهم واستغلهم واستعمرهم في انفسهم وبلادهم، وانزل عليهم ألواناً من الكوارث وأنواعاً من النكبات، أدت الى سيادة فكرة خطيرة عند الكثيرين وهي ان العرب لا يصلحون للحياة ، وانهم ليسوا اهلاً لتحمل مسؤولياتها وأعبائها ، وانهم يعيشون على هامشها لاهين بالسفاسف والاختلافات، بينما سار الناس في سائر الديار في ركب الحضارة جادين منتجين، فورثوا الارض وما عليها من خيرات وما فيها من كنوز ، وكانوا الجديرين بالحياة ، الصالحين لمسؤولياتها .

ولست بحاجة الى القول ، انه اذا استمر هذا الشعور بالنقص

على هذه الحال فسينمو هذا الشعور ويدفع الى اضطراب في التفكير والى انعكاف العرب وانكماشهم على انفسهم وانعزالهم عن العالم . وفي هذا ما فيه من تعطيل لمواهبهم وايقاف لنموهم وتقدمهم ، فاذا هم يعيشون على هامش الحياة ، قد اقعدهم الخمول والجمود عن الحركة والمجاراة .

●

وعلى المسؤولين والمفكرين ان يدفعوا هذا الشعور بالنقص عن بني قومهم العرب ، وان يدخلوا في البرامج والمناهج اساليب تعويضية تخفي هذا النقص وتزيل آثاره .

اما الاساليب فتتركز في الدعوة الى الاخذ بأساليب الغرب ، والتقيد بالعلم وإدخاله سائر ميادين الحياة ، والتبصر في الحاضر كل التبصر ، وتفهم مشاكل الحياة على أسس علمية .

ان اكبر جناية يقترفها المثقفون والمتعلمون في هذه الايام ان يستسلموا للشعور بالنقص المسيطر على الكثيرين من بني قومهم وان يفزعوا من كثرة المشاكل المحيطة بهم ، وعليهم ان يعملوا على اثارتهم وحفزهم الى مقاومة هذا الشعور بالنقص ، بالعزيمة والعمل ، وشحذ الهمم وعدم الوقوف والاندفاع في التقدم والأخذ بأسباب الحضارة .

إن الصعاب والمشاكل تحيط بكل نهضة وتعترض كل حركة ترمي الى التقدم . فعلى الشباب ان لا تثنيهم المتاعب والنكبات عن عزمهم في تحرير بلادهم والنهوض بها . وعليهم ان يدركوا ان قومهم ليسوا الوحيدين في مجابهة الصعاب والمآسي ، فكل أمة

نهضت، جابهت ما يجابهه العرب الآن من العقبات، ولكنها تغلبت عليها واجتازتها بالعزيمة والارادة والايمان.

وفي إمكان العرب اذا عزموا وأرادوا، ان يجتازوا عقباتهم. وليقتحموا الصعاب. ذلك لأنهم كغيرهم من الأمم، من الكائنات الحية، التي تكمن فيها القابلية للحياة والقوة لأداء رسالتها. وليست المشاكل والصعاب بشيء اذا ما آمن العرب بحقهم في الحياة والتقدم. ولهذا وجب على العرب ان لا يفزعوا من هول النكبات المنصبة عليهم، وان لا يعتريهم هلع من المصاعب المحيطة بهم. وعليهم ان ينزعوا من انفسهم الشعور بالنقص، ويؤمنوا بقابلياتهم وصلاحيتهم للحياة والقيام برسالتها.

وبذلك يمهدون لوطنهم وبلادهم طريق الخلاص وسبيل النمو والتقدم.

الشعور بالعدالة

•

من غايات العلم الصحيح ان يُبعد الانسان عن الأنانية وان يجعله يدرك انه جزء من هذا الكون ومساهم في بناء هذا العالم، وان سلوكه وتصرفاته تؤثر في الآخرين .. وانه ليس ملكاً لنفسه او لعائلته او بلده، بل هو ملك لبلاده ووطنه وملك لما هو اعم من ذلك : للانسانية. وعلى ذلك فتصرفاته تؤثر في المجموع كما ان المجموع مسؤول عنه .

وكلما تقدم الانسان في العلم وتقيد بروحه واسلوبه ارتفع مستوى تفكيره، واتسع افقه، وترفع عن الدوائر الضيقة في محيطه، وسما بسلوكه على الاعتبارات ذات الاهداف المحدودة، وآمن بحق الناس في الحياة وحقهم في نتاجه وثماره . فللناس عنده حقوق وله عند الناس حقوق، وعليه ان يقوم بما يترتب عليه من واجبات نحوهم . ومن الطبيعي ان ينتظر منهم ان يقوموا بواجباتهم نحوه. ولا شك في ان تقدم الامة نتيجة لعوامل عديدة اهمها ادراك مسؤولية الفرد تجاه المجموع ومسؤولية المجموع تجاه الفرد، وهذه المسؤولية تحتم على الفرد ان لا يتمادى في حب نفسه وان يحد من انانيته بان يقيد سلوكه وتصرفاته ضمن صالح الجماعة ويؤمن بالعدل الشامل في

سائر الميادين من مادية ومعنوية ،ويعمل على تحقيق هذا العدل . فالأيمان بالعدل في سائر الاتجاهات والجبهات من اركان الثقافة الصحيحة . ذلك لان الثقافة الصحيحة توجب على الانسان ان لا يبخل بجهوده على انواعها في سبيل خير المجموع كما تحتم عليه ان لا يمتنع عن افادة الناس بما يعلم .

ان علم الانسان او ثقافته لا يقاسان بمقدار العلم او الثقافة ، بل بما يحدثانه من حيوية وتأثير في حاملها وما يوجدانه من ايمان بالعدل وسمو في التصرفات وبُعد عن الانانية وحب للخير والاصلاح . والانسان لا يكون انساناً واعياً مثقفاً الا اذا شعر بالعدالة وآمن بها وتقيد بقيودها وجعل منها اسلوباً يسيّر حياته عليها ، بل ان ثقافته لا تكون منتجة مثمرة الا إذا دعا الى العدالة واقام من تصرفاته وحركاته ونشاطه دليلا على إيمانه بها .

ان شعور المرء بالعدالة دليل وعيه وشعوره بالمسؤولية تجاه نفسه وبني وطنه والناس اجمعين ، وهي في واقع الحال ارقى درجات الفهم تدل على اتساع الافق والروح العالية البعيدة عن مادية الانانية والفردية .

ان المفاهيم العامة قد تقدمت في هذا العصر وهي غير المفاهيم في القرن الماضي. فهي مفاهيم تقوم على ان الانسان هو جزء من كلّ ، وعضو في امة هي من اسرة انسانية خيره من خيرها وتقدمه في تقدمها ونجاحه في نجاحها . وهو متمم لبني وطنه ، له رسالة في الحياة ان لم يقم بتأديتها فهو عضو فاسد يعيش على هامش الحياة دون هدف او غاية فلا معنى لوجوده او حياته .

يجب ان يدرك الشباب ان هذا العصر هو عصر التقدم والتغير

فمن لم يسر الى امام سار الى وراء ، ومن وقف فقد تأخر ، ومن لم يرتفع ويَسنمُ فقد تردى وهبط ، ومن لم يجر مع التيار ، تيار الانظمة والمفاهيم الجديدة ، يجرفه التيار ويخلفه مع القاعدين لاقيمة له ولا حياة معه .

وفي هذا العصر تسيطر انظمة وتسود نظريات املاها التطور الذي اصاب العقل البشري . ومن اهم العناصر المميزة لروح العصر عنصر العدالة في سائر الميادين من اجتماعية وسياسية وثقافية ، فمن لم يأخذ بذلك ويكيف عقله ونفسه على هذا الاساس فهو «تقهقري» رجعي يعمل على مقاومة الزمن في سيره والحضارة في حركتها ، وهو في هذا خاسر لا محالة ، نصيبه الفشل والاخفاق ، فلا تقدم للمجتمع الا اذا سارت روح العدالة في الافراد وعملت الدولة على ضمان الحقوق المتساوية لسائر الناس وامنت لهم فرصاً متكافئة في المجال الاقتصادي والمجالات الاخرى ، من معنوية وسياسية .

ان سيادة فكرة العدالة في سائر الميادين تزيل النعرات العائلية والعنعنات المحلية والاقليمية وتضع حداً لويلات الفقر والمرض والجهل بتهيئتها فرصاً متساوية في العمل لجميع المواطنين ، وعندئذ يتقرر مقام الفرد في المجتمع في اسلوبه وقابليته وانتاجه ، وتتركز الفروق بين الافراد في المقدرة والانتاج والسلوك العام . ولاشك في ان الامة التي تقرر مقام الفرد على غير هذا الاساس ولا تعبأ بالكفايات المعنوية والعلميـــة لا تسير في الطريق السليم ، وهي تدلل بذلك على تأخرها وعدم وعيها ، إذ كيف يمكن لجماعة ان تتقدم وان تخطو مع الزمن وتسايره في حركته وتجاري العصر في النمو والتجدد اذا لم تأخذ اساساً صحيحاً في تحديد مقام الفرد

وتهيئة الوسائل للاستفادة من حيويته وقابلياته ؟

ان المفاهيم الحديثة تقضي على الدولة ان لا تترك وسيلة او اسلوباً يمكنها من توجيهه واستغلاله في الصالح العام وخير المجموع الا لجأت إليه. وبذلك تكون قد سارت في طريق العدالة في الخروج بجهود الافراد ومواهبهم ، الى دائرة الخير العام الشامل . ولست بحاجة الى القول ان سيادة فكرة العدالة، لا تسمو الا بالعلم واساليبه التي تهدف الى التقدم المستمر والنمو المتصل . ومن هنا يتحتم على المسؤولين ان يدخلوا تعديلات اساسية في مناهج التعليم ، بحيث تتجه التعديلات الى مراعاة روح العصر والتقدم الذي اصاب الحياة والعلم ، والى التطور الذي اصاب العقل ، والمفاهيم التي ظهرت في هذا العصر . فلا تكون المناهج في معزل عن هذا كله ، ولا عن الناحية العلمية والعملية ، ولا بعيدة عن الاتجاهات الاقتصادية والاجتماعية التي تسود الحضارة الحالية ، ليكون المجال امام الطالب واسعاً ، لينعم بثقافة علمية صحيحة ، تعزز فيها الناحية العملية من العلم ، ويبرز فيها اثر العدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في تقدم المجتمع ونموه .

واخيراً لابد لي من تقرير الحقيقة التالية :

اذا اراد العرب ان يعيشوا احراراً منتجين عاملين تطلعيين ، فعليهم ان يعيشوا بالعلم واساليبه ، ويسلموا زمام امورهم لعقليات علمية ، تقدر اهمية العلم والنظام والرقم ، وتؤمن بالعدالة في سائر المبادىء ، من سياسية واجتماعية واقتصادية ، وتعرف كيف تسير بالمجتمع العربي في طريق النمو والتقدم ، وتخرجه من ظلمات الجمود والانانية ، الى النور والعدالة والحياة .

مركب الوهم

●

العرب مبتلون بهذا المركب ...

لقد سيطرت عليهم مجموعة من الافكار العاطفية والمادية، بقوة الغرب والانكليز وجبروتهم، وسطوتهم ومقدرتهم على كل شيء، واندست في العقل الباطن، فاثرت في اتجاهاتهم وميولهم وتفكيرهم. فكان الوهم بالغرب ومعاهداته ومعاملاته واساليبه قد بلغ الذروة.

فإن ثار العرب ... قالوا ان المحرك هو الغرب ومؤسساته ... وان تحرك العرب ... قالوا انه بحافز من الانكليز.

وساد اعتقاد عند بعض المسؤولين بان الاستقرار لايكون الا على أساس المعاهدات ... وان الانتعاش لا يحصل الا بفضل الغرب ومعوناته ...

ونسب بعض العرب كل مقاومة في الشرق العربي، وكل حركة تحررية الى الغرب ... فاذا فشلت هذه المقاومة فلابد ان يكون للغرب ضلع فيها ... واذا نجحت ... فلا بد ان تخفي في ثنايا نجاحها مقاصد تلائم الاستعمار ومصالحه.

وقد سادت هذه الآراء عند العرب، حتى اصبحت عقدة نفسية ومركباً عند الكثيرين في سائر الاقطار العربية، ولا سيما

المسؤولون منهم .

وكان لهذه العقدة اثرها ، في شل الحركات القومية والثورية ، والنهضات التحررية ، وكانت (اي العقدة) من العوامل التي جعلت المسؤولين في ديار العرب ، يعتمدون على غيرهم في امورهم وتصريف شؤونهم ، ولا يقدمون على اي حركة ، دون استشارة الاجنبي واخذ رأيه ، وذلك لوهمهم ان النجاح لا يأتي الا عن طريق الاجنبي ، وان الفشل سيلاحق من يخالفه ويستخف بتوجيهاته .

فكان هـذا الاخفاق في حركات العرب ، في العشرين السنة الماضية ، وكانت المصائب التي توالت على بلادنا ... وكانت نكبة فلسطين ، ومـا صحبها ، من مظالم ، وارهاق وتشريد ، وضياع اوطان ...

وبدأ الوعي يعمّ الفكر العربي ...

والحجب الكثيفة تنزاح عنه ...

والوهم يتبدد في اجواء الحقائق والعلم والايمان ...

فاذا مصر تحطم القيد ، وترفع الحجب ، وتبدد الغيوم ...

واذا هي تندفع في طريق التحرر والخلاص .

واستولى الوهم حيناً من الدهر ، على الهند ، وقال الناس ان الانكليز فيها مقيمون ... وان في اقامتهم ، السلام والخير والاستقرار ...

وأفاق زعماء الهند من رقادهم الطويل .

وتصادمت الآراء في المؤتمر الهندي ... وكان احتكاك بينها ...

وكانت حركات انبعثت منها شرارات وبروق بددت غيوم الوهم

بالغرب واهدافه .

واذا في الهند دولة ، وفي باكستان دولة ، تسيران مع العاملين في ميادين الحياة والتقدم وتعملان على المساهمة في خدمة الانسانية والسلام .

وفي ايران هدد الانكليز بانهم سيقاومون التأميم بالقوة وانهم لن يتساهلوا في هذا الامر الخطير ، فاقر الشعب الايراني التأميم غير مبال بتهديد الانكليز ووعيدهم ، ووقف الاستعمار في حيرة ذاهلا لا يدري ماذا يعمل امام عزيمة الشعب وارادته وتصميمه .

وتراجع الأنكليز بعد ان ادركوا ان الوهم بقوتهم وجبروتهم قد تلاشى وتبدد .

ولا شك في ان هذه الحركات التحررية في الهند وايران ومصر والصين والملايو بدأت تؤثر في بقيـــة شعوب الشرق الاوسط والاقصى كما بدأت تضعف اثر مركب الوهم وتمهد لأزاحته عن الأعين ... وها هي العقول في طريق التحرر ، والارادة في طريق الانطلاق ، وعندئذٍ ستسخر القوى الكامنة في الشعوب للبناء والاتجاه الصحيح المؤديين الى الحرية والكرامة والتقدم ...

الانانية الطاغية

●

انزل العقل الانساني الجبار في اوائل هذا القرن الباخرة العظيمة (تيتانيك) ولعلها من اروع ما اخرجته الصناعة ، وهي تدلل على التقدم الذي اصاب المدنية في الاختراع والاكتشاف، فلقد حوت من اسباب الرفاه والراحة مالم يحلم به القياصرة في سالف الازمان. فهي مدينة عائمة حديثة ، فيها الملاعب والملاهي والساحات ، وفيها المكتبات والصحف، وفيها البحيرات والجنائن ، وفيها المستقبلات والمرسلات للانباء والاخبار والحوادث .

نزلت هذه الباخرة البحر تمخر عبابه ، فسارت افكار الناس في سائر الاقطار معها ، يتتبعون رحلتها ، وانباءَ حركاتها وعليها عشرات المئات من البشر من مختلف الاجناس والطبقات .

خاضت هذه المدينة العائمة البحار ، وظن الناس ان الانسان قد سيطر على الامواج والاعاصير والرياح ومفاجآت الطبيعة والجواء . فاستولى عليه الغرور واخذته العزة . . . وكيف لا تأخذه العزة والبحار تنخفض للباخرة اجلالاً واحتراماً، والامواج والحيتان تنزاح من امامها رهبة واكباراً ؟ وها هي انباء الرحلة توسلها الامواج اللاسلكية الى سائر الانحاء ، والناس يتطلعون

باعجاب الى هذا الانقلاب العظيم في الصناعة والحضارة .

ويشاء القدر ان يحدّ من غرور الانسان ، وتشاء الاقدار ان تنزل العقل الانساني عن كبريائه ، فهيأت جبلاً من الجليد يقف في طريق الباخرة العظيمة فمسّها مساً رفيقاً ، فاذا هذا المسّ يشق الباخرة واذا هي تميل الى الغرق لتستقبلها قيعان البحر وحيتانه ، واذا الامواج الوادعة التي كانت تنزاح من امام الباخرة تتعالى عليها وتقذفها باطنان من اثقال البحر وخيراته ، واذا الهرج يسود الباخرة والذعر يسيطر على ركابها وبحارتها .

وتنزل قوارب النجاة لالتقاط من كتب لهم النجاة والحياة . ويترامى الناس على القوارب ويتدافعون ، وتدفعهم غريزة الحياة الى اللجوء الى العنف والقتال بالايدي والسلاح في سبيل الخلاص . وقد تجلى في هذه المظاهرة ضعف الانسان ، كما تجلت قوة الطبيعة وثورتها على الانسان . وكان في جانب من جوانب الباخرة قارب مدلّى يحفل بالركاب . وقد وقف امام القارب رجل يهم بالنزول ليجلس او يقف في آخر محل لينجو مع الناجين . ولكنه ارتد ليخلي المكان الاخير في القارب لسيدة وراءه وهو يعلم علم اليقين انه باخلائه المكان قد كتب على نفسه الموت المحقق . وكان ذلك ، فاذا هو في ثنايا الامواج من المغرقين ...

وتناقلت هذا الحادث الاسلاك والامواج ، ورأى فيها الناس قوة الانسان في اروع مظاهرها واسمى ادوارها ، وبقي حديث العالم ومادة الصحف والمجلات سنين عديدات .

كان هذا الحادث وحياً للفنانين ، فاخرج احدهم صورتين

تمثل احداهما الباخرة وهي تميل الى الغرق وقد شقها جبل الجليد وكتب تحتها : قوة الطبيعة – ضعف الانسان ، وصورة ثانية تمثل القارب المُدَلّىً وقد تخلى ذلك الانسان عن مكانه الى السيدة لتنجو ويهلك ، وكتب تحتها ضعف الطبيعة – قوة الانسان ... !!

لقد رأى الفنان ان في ذلك الانسان الذي تنحى عن مكانه ليستقبل الموت تضحية وجوداً هما اقصى غايات التضحية والجود ، فاوحى له هذا المنظر القوة العظيمة الكامنة في الانسان ، فالانسان قوي وعظيم اذا تنازل عن انانيته وقيد حياته وسلوكه بالتضحية والايثار .

انا لا اقول ان يتنازل الانسان عن الانانية التي تقع ضمن حدود المحافظة على الكيان والحقوق ، ولكني اقول ان الانانية الطاغية التي تقوم على اساس الاستهتار بالحقوق والاستهانة بالكرامة الانسانية هي الانانية التي اوجدت مانراه في العالم من بؤس وشقاء وبلبلة وفوضى . ولقد امتدت هذه الى الجماعات فكان من ذلك الاستعمارُ والاستغلال .

لقد تقدم العلم تقدماً نتج عنه انقلاب خطير في الاوضاع والمرافق . فقد غزا جميع نواحي الحياة ،صغيرها وكبيرها ،جسيمها وتافهها ،ودخل في الطعام والشراب ،في الحقل والبيت ،في الحرب والسلم ، واصبح العالم لا يعيش الا في جواء من العلم ولا يسير الا على طريق تحيط به الاكتشافات وتكتنفه الاختراعات ،فآثار العلم بادية في كل مكان واصوله متغلغلة في ما جلّ من الشؤون وما هان .

وعلى الرغم من هذا التقدم في سائر ميادين الحياة ، فقد طغت

الانانية عند الافراد والجماعات واستحكمت الاثرة في النفوس ، فكان الضعف الذي نراه في المدنية ، وكان الافلاس الذي اصاب الحضارة ، وكانت الازمات الخلقية التي يئن العالم منها . لقد استأسدت الغرائز ، واسرفت المطامع ، وتحجرت الضمائر ، فاذا آلة العلم تتجه نحو التدمير والتخريب ، والفتك والتقتيل . ولو ابتعد الانسان عن الانانية الطاغية ، وحدّ من طغيانها لتوجه بالعلم نحو البناء والاثمار والخير والجمال ، ولما كان العالم على الحال الذي هو فيه ، من فوضى وبلبلة وعدم استقرار .

ان في العلم قوة عظيمة ، اذا لم تحط بسياج من التضحية والايثار انقلب الى قوة هدامة مدمرة . وعلى المفكرين والمربين ، واصحاب الاقلام ان يساهموا في خلق روح التضحية في الافراد والجماعات وان يعملوا على ان يبعدوا الانسان عن الانانية الطاغية التي تخرجه عن انسانيته وتحيله الى حيوان مفترس .

ان هذه الانانية الطاغية هي التي انتجت الاستعمار ، بألوانه وانواعه ، وأوجدت هذه الحيرة التي تنتاب العالم في هذه الايام . والانانية الطاغية هذه ، اذا سيطرت على الافراد وامتدت آثارها الى الجماعات ، فانها تجعل من القانون فوضى ، ومن المعاهدات غدراً ، ومن الأخوة عداوة . والعرب في سائر ديارهم يعانون انواعاً من البلاء ، ويقاسون ألواناً من الشقاء ، بسبب هذه الانانية التي طغت على العقول والاساليب فتخلفت بهم عن ركب التقدم والعمران .

لقد طغت هذه الانانية والأثَرة على المسؤولين في البلاد العربية فأثرت في تفكيرهم واسلوب حياتهم ، واضطرب النظام ،

واختلت المقاييس وانتكست الطباع ، وسار الحكم على أسس من الفردية والشكلية والآنية . فهم لا ينظرون الى الحكم الا من زاوية الانانية الضيقة ، ولا يفكرون في روح الحكم وغاياته ، بل يعتبرون الشكليات الاساس والجوهر ، كما ان هذه الانانية قد قيدتهم وحددت مدى النظر عندهم فنتجت عن ذلك الاوضاع الشاذة والمشاكل الخطيرة التي تقع البلاد العربية تحت تأثيرها وآفاتها.

ولو تعمق الانسان في تفكيره ، لرأى ان الانانية الطاغية ليست في صالحه في النهاية لانها ليست في صالح المجموع الذي يعيش فيه ، ولو حكم العقل في ذلك لتجلى له ان في الابتعاد عنها وتشبعه بروح التضحية ، ما يسمو بالانسان ويجعل حياته غزيرة حافلة بالبواعث التي تضاعف الرغبة في مواصلة الكفاح في سبيل المجموع، وتدفعه الى الايمان بواجبه في الانتقاد الانشائي والاندفاع الاصلاحي والبنائي لا في دائرة نفسه وخاصته ، بل في دائرة الوطن ومواطنيه . ان عجز الحضارة الحالية عن وقف الحروب واخفاقها في الحد من المنازعات والتنافس قد نتجا عن الانانية الطاغية التي استحكمت في الجماعات والافراد .

وان ما نراه من فوضى في الحكم في البلاد العربية واختلال في الاوضاع وشذوذ في الاساليب - يعود الى الانانية الطاغية التي تتحكم بعقول المسؤولين. فلقد أعمتهم هذه الأنانية عن الحقائق وعن روح العصر وجعلتهم لا يدركون ما للعلم مع التضحية والايثار من تأثير في تقدم المجموع وخيره وصلاحه .

ليس العلم كل شيء في هذا الوجود . وليست المعنويات كل

شيء في هذا الوجود . ان الحياة لا تزدهر ولا تغزر الا بالعلم والخلق مجتمعين . . واعني بالخلق ذلك الخلق القائم على البعد عن الانانية الطاغية والمتقيد بالتضحية والايثار والايمان بالخير الشامل. إذا ايقنتم انكم عماد امتكم ، بكم يرتفع شأنها ، وبكم تقوى وتزداد حيويتها ، إذا ايقنتم انكم من وثبات مجدها ومن خفقات قلبها ، وان اغزر الناس حياة اعمقهم تفكيراً ، واكثرهم ايثاراً ، واصلحهم عملاً ... عندئذٍ فانتم الجديرون بالحياة وحمل اماناتها وتبعاتها .

ان الجماعة تصلح بالتضحية والعلم معاً ، وان النفوس لا تقوى الا بترويضها على الايثار ، وان من يقف امواله وايامه ومواهبه على امتاع نفسه لا يعرف الحياة ، لانه لا يعرف الوطن.

واخيراً ان العلم بعيداً عن الايثار هو نقمة وشقاء وهدم وتدمير ، والعلم لا يزكو ولا يثمر ولا يصبح اداة خير وبناء واصلاح إلا على اساس من التضحية والخلق العالي .

واعلموا ان في الشباب قوى عظيمة تكمن في نفوسهم وشغاف قلوبهم ، وان هذه القوى لن يُقدَّرَ لها الانطلاق إلا إذا أحيطت بسياج من الايثار والشجاعة ، وعندئذ تنطلق هذه القوى في طريق الخير والاصلاح والبناء .

اميركا ...

في دنيا المبادىء والاخلاق ..

●

يكثر الحديث في هذه الايام عن اميركا ، وحضارة اميركا ، وصناعة اميركا ، والتقدم العجيب الذي اصابته في مختلف نواحي الحياة وميادينها .

وكيف لايكثر الحديث عن اميركا، وقد احتلت مركز الصدارة في الشؤون العالمية ، من اقتصاد وسياسة وسلم وحرب وانعاش...

واميركا تتجه في معاملاتها واساليبها على أساس جديد يقوم على تقديم المعونات المالية والفنية وذلك - كما يقول ساستها - لمساعدة الاقطـار المتأخرة ، ودعم السلام والمبادىء الانسانية ، وتوفير الرخاء والاستقرار للعالم .

وبينما تسير اميركا وأثرياء اميركا على إغـــداق الاموال على المؤسسات العلمية لغايات انسانية مما له اكبر الاثر في تقدم العلوم في بعض نواحيها ، نجد انها تتخذ في نواح اخرى طريقاً وعراً يناقض المبادىء التي تدعيها ويخالف التعاليم التي تبشر بها . فهي تبيح تشريد

مليون عربي وسلب اراضيهم واموالهم وحقهم في الحياة ، وتساهم مساهمة كلية في بناء دولة اسرائيل وتدعمها بالاموال والسلاح والحماية

ولا يقف الامر عند هذا الحد ، بل نجد انها تساند انكلترا في اساليبها الاستعمارية والتعسفية ، وتسير معها في الضغط والارهاق والاستغلال . وهنا النقطة التي ينبثق منها العجب !! ..

اميركا هذه تريد الرخاء والسلام والتقدم للعالم ، وتبذل في سبيل ذلك الاموال ذات الارقام الفلكية - اميركا هذه ، هي نفسها التي تساند الاستعمار والمستعمرين ، وتبارك الاستغلال والضغط ، وهي نفسها التي تمد الحبال للظالمين والمستهترين بالشعوب ليتمادوا في ظلمهم وارهاقهم ، بل انها (اي اميركا) تذهب الى ابعد من ذلك فتقاوم من يحاول الوقوف امام الاستعمار والمستعمرين ، وتحول دون التحرر والانطلاق .

ونحن الذين نهلنا من منهل الثقافة الاميركية في الجامعات الاميركية ، وتشربنا الروح العلمية على اساتذة اميركيين ، قد اصابتنا صدمة واعترانا ذهول من اتجاهات اميركا في الشؤون العالمية ، ومن مساندتها الاستعمار والمستعمرين . وكنا ننتظر ان تكون اميركا زعيمة الحركات التحررية المقاومة للضغط والارهاق والمناهضة للاستعمار والاستغلال .

وكنا ، ونحن من طلاب جامعاتها ، ننتظر كذلك ان تتقيد اميركا بالروح العلمية الصحيحة في معاملاتها واساليبها ، ذلك لان علماءها ورجال الفكر فيها وفلاسفتها قد زرعوا فينا هذه الروح ، واشادوا بها ، وطالبونا باتباعها ونشرها والدعوة اليها ، لما لها من اثر في التقدم

المادي والروحي ، وفي تخفيف حدة الانانية والنزعات الخاصة .

لقد علمنا اساتذتنا الاميركان أن الروح العلمية توجب على الانسان ان يكون مخلصاً للحق وللحقيقة ، لا للدعاية والتضليل.

فأين هو اثر الروح العلمية في الاميركيين من مسؤولين وغير مسؤولين في اميركا ؟

ان موقف الشعب الاميركي من قضايا الشعوب الضعيفة وتأييده للظلم الواقع على العرب في سائر ديارهم كان صدمة لنا .

فاين هو الاخلاص للحقيقة والمبادىء ؟

واين هو الاخلاص للحق حين تؤيد اميركا الاستعمار وتسانده وتحميه ؟

ماذا نقول للطلاب بعدما رأيناه في اميركا ؟

وكيف نستطيع اقناعهم بان الروح العلمية توجب على حاملها التجرد عن الهوى وعدم التحيز ، والاخلاص للحق ابتغاء وجه الحق؟

بل ماذا نقول لطلابنا في المدارس ؟

أنقول لهم ان الدعايات قد اثرت في الاميركيين وأضلتهم فجعلتهم يخرجون على مقتضيات الروح العلمية ، ويعبثون بها ، وبالمبادىء السامية التي تفرضها هذه الروح ؟

لقد علمنا الطلاب ان الاسلوب العلمي هو مدرسة للخلق العالي ، فاين هو اثر هذا الاسلوب في اميركا ، وقد استساغ الاميركيون مأساة فلسطين ، واقاموا دولة اسرائيل ، ورحبوا بالظلم النازل بالعرب ، وساندوا المستعمرين في طغيانهم ، واستهتروا بحق الانسان في الحياة ، وخرجوا في تصرفاتهم على قواعد العدل

والانصاف؟.. بذلك نزلت اميركا الى الحضيض في ميدان المعنويات ودنيا المبادىء والاخلاق..

ولكنها استغلت الاسلوب العلمي من الناحية العملية الى ابعد الحدود، فبلغت في دنيا العلم والمادة قمة الارتقاء وذروة النمو...

العرب والحياد ...

•

ما هو موقف العرب من الكتلتين المتعاديتين .؟ وهل يتجهون نحو الكتلة الروسية ؟. أم يتجهون نحو اميركا وانكلترا ؟.. أم يقفون على الحياد ..؟

هذه اسئلة تجول في خواطر الناس في هذه الايام ..وهي شغل الصحافة والمعلقين.. فنجد أعمدة الصحف تفيض بالتعليق والمعالجات في موضوع العرب والحياد. فمن العرب من يرى أن الخير في السير الى جانب اميركا وانكلترا وارجاء بحث المشاكل القائمة بين العرب والانكليز الى ما بعد انتهاء الحرب القادمة . وهؤلاء الذين يقولون بهذا القول هم قلة القلة من الذين طمس الله على قلوبهم واعمتهم المادّية، فجعلتهم ينظرون الى مصالحهم ومنافعهم، متعامين عن شعوبهم ومصالحها . ولست بحاجة الى القول انهم لا يمثلون إلا أنفسهم ، ولا يعبّرون إلا عن آرائهم ونظرياتهم ...

ومن العرب من يرى ان الخير في التريث والمساومة والمفاوضة على أساس المصالح المتبادلة واحترام الحقوق. ولهذا الرأي أنصار، وقد يجد فيه الناس بعض الوجاهة. فاذا أحسنت المساومة، واعتبر

العرب بالماضي ، وعرفوا كيف يستغلون الظروف فقد يخرجون بما فيه صالح البلاد .

وهناك أنصار الحياد مع الاستعداد المسلّح ... وهؤلاء هم الاكثرية الساحقة من العرب في سائر اقطارهم .

لقد سار العرب الى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الاخيرة ، وتركوا المشاكل المعلقة الى ما بعد انتهاء الحرب. ثم انتهت الحرب بانتصار الحلفاء، فماذا كانت النتيجة..؟ استهتار بالعهود والمواثيق، واستهانة بالشعب العربي، واحلال اليهود مكان العرب في فلسطين، وانشاء دولة اسرائيل على الرغم من مواقف العرب ، ومساعدات العرب ، ومحالفات العرب ، وبترول العرب .. إن النكبة التي حلّت بالعرب اجمعين هي من اخراج الديموقراطيات وصنعها .. فلولا الاميركان والانكليز ، ولولا معاضدتهم المادية والمعنوية لما علت راية لليهود ولا قام لهم كيان . . فلقد كانت هذه النكبة التي صبها الحلفاء على العرب ثمناً لصداقة العرب ، وبترول العرب ، ومساعداتهم . والعرب .. إن لم يتعظوا ، ويأخذوا من ذلك درساً وعبرة فستحل بهم نكبات اخرى ، ويكونون قد أقاموا الدليل على عدم قابليتهم للحياة والكفاح من اجل الحياة، كما دللوا على انهم جديرون بأن يستعمرهم القوي ، ويستغلهم كما يستغل الحديد والنحاس .

والذي لا شك فيه ان العرب اليوم على عتبة اليقظة وفي أول مراحل الوعي — والفضل في ذلك يعود الى نكبة فلسطين — وعلى المسؤولين في الدول العربية أن يستجيبوا لشعوبهم ، وأن لا

يقعوا في أحابيل الاستعمار وخداع المستعمرين . فقد أصبح فرضاً على العرب وجامعتهم ان يدرسوا الوضع الدولي ، ويبحثوا في اصوله وفروعه ونتائجه ، وان لا يتهاونوا في مصالح بلادهم وأوطانهم . فالعرب يملكون البترول ويملكون المواقع الاستراتيجية والرأي العام الاسلامي ، كما يملكون امكانيات مادّية ومعنوية على جانب عظيم من الاهمية .. فاذا أحسنوا توجيه هذه الامكانيات والقوى ، واحسنوا استغلالها فسيرغمون الدول على احترامهم وعدم الاستهتار بهم .

وإن مصلحة العرب في سائر ديارهم تقضي بأن يعتبروا بما حلّ بهم ويقدروا امكانياتهم وقواهم ، وعندئذٍ يمكنهم ان يحددوا موقفهم من الصراع الحالي . وهذا الموقف يجب ان تمليه مصلحة الشعب العربي أولاً وأخيراً ، وان يكون نتيجة بحث ودروس واتفاق . فاذا وضع المسؤولون في الجامعة العربية والدول العربية مصالح شعوبهم فوق المصالح الخاصة فسيخرجون بقرار يحدد موقفهم ، ويملي على الغرب احترام العرب ، كما يدفع عنهم (عن العرب) العبث بالحقوق والاستهتار بها .

وهنا ... أشعر ان الواجب القومي يحتم عليّ ان ابدي رأيي فيما يجب ان يكون عليه موقف العرب من الصراع الحالي . وهو رأي كونته بعد تفكير ودرس واستعراض للاوضاع ، ويشاركني فيه كثير من أفراد الطبقة المثقفة ، وقد يخالفني فيه بعض الناس . وأقولها كلمة صريحة إن الرأي الذي خرجت به هو ان يتفق العرب

على الحياد مع الاستعداد المسلح ، والعمل علـــى تعديل الاوضاع الداخلية تعديلاً يتلاءم مع روح العصر ويمهد للنمو والتقدم . هذا هو الطريق الوحيد الذي يبعد خطر الحرب عن البلاد العربيـة ، ويجنبهـــا أهوالها وويلاتها ، كما يحفظ على العرب كيانهم وكرامتهم . وبذلك يدللون على وعيهم ويقظتهم وجدارتهم بالحياة ، فــلا يجرؤ أحد على الاستهتار بهم او العبث بحقوقهم أو مصالحهم .

حسنات الظلم

●

للظلم حسنات فهو المنبه ، وهو الحافز ، وهو الدافع ، وهو المثـــير .

فاذا وقع ظلم على الفرد او الجماعة فلا بد ان يقابله رد فعل يتركز في المقاومة ، وهذه تنبـه الحواس ، وتحفز الى الاندفاع ، وتدفع الى الحرية ، وتثير كوامن المزايا والقابليات .

ومقدار المقاومة وكيفيتها نتيجـــة لعوامل عديدة: منها ما يرجع الى البيئة ، ومنها ما يرجع الى خصائص الفرد او الجماعة ، ومنها ما يتأثر بالتاريخ والرغبة في التقليد .

ولسنا في مجال تفصيل هذه العوامل. ولكننا سوف نتناول الظلم والاستبداد والارهاق التي نزلت ببعض الشعوب والامم ، وكيف كان نعمة عليها إذ اثارها وحفزها الى التحرر والانطلاق ونبهها الى مزاياها وقابلياتها ، واظهر ما فيها من قوى كامنة فسخرتها في تقدمها وتحركها في ركب الحضارة .

لقد كان للظلم الذي اوقعه الملوك في فرنسا بالشعب الافرنسي ، وللارهاق الذي قاساه هذا الشعب من امتيازات النبـلاء ورجال الدين واحتكار هؤلاء لثروة البلاد ، وللاستبـداد الذي اوقعوه

بالفرنسيين – كان لهذا كله أثر في بروز الثورة الفرنسية ونقمة الشعب واندفاعه في سبيل رفع المظالم والاهوال النازلة به .

ومن الطبيعي ان يتخلل هذه الثورة كثير من الاساءات والوان من التصرفات القاسية – ولكنها على الرغم من هذا كله – كانت نعمة على الشعب الافرنسي ، فقد نال بفضلها حقوقاً واسعة وتخلص من الاستبداد والمظالم ، ونهضت فرنسا صناعياً وثقافياً واصبحت من كبريات الدول التي يُحسب حسابها ويخشى بأسها .

وقاوم الاميركيون الظلم الذي انزله بساحتهم الاستعمار البريطاني ، ودفعهم هذا الظلم وما صحبه من استبداد واضطهاد واستهتار بالحريات وعبث بالكرامات الى العصيان والثورة ، فنالوا بعد ثورات دامية ، وحروب طاحنة ، ومعارك حامية ، حريتهم واستقلالهم . وكان لثورة الاميركان هذه ضد انكلترا اكبر الاثر في تقدم الشعب الاميركي واحتلاله مكاناً مرموقاً بين الامم .

كما كان للثورة الفرنسية وآراء بعض مفكريها أثر في تنمية الوعي عند قادة اميركا، فوضعوا قواعد للحرية الانسانية كانت من عوامل الحركات الاستقلالية والنهضات التحررية في العالم الغربي .

لقد وضع جفرسن احد اعلام الرؤساء والساسة الاميركان فلسفته السياسية في وثيقة اعلان استقلال اميركا سنة ١٧٧٦ ، وكانت هذه الفلسفة اثراً من آثار الضغط والارهاق والمظالم التي صبّها الاستعمار على الشعب الاميركي .

جاء في هذه الوثيقة : « ... إن الناس كلهم خُلقوا متساوين. وان الخالق قد منحهم حقوقاً ثابتة لا يمكن انتزاعها منهم . وبين هذه الحقوق الحياة والحرية ونشدان السعادة . ولضمان هذه الحقوق قد انشئت الحكومات بين الناس وهي تستمد سلطتها العادلة من رضا المحكومين . وانه عندما يصبح اي شكل من الحكومات اداة هدم لتلك الغايات ، فمن حق الشعب ان يغيرها او يزيلها وان يقيم مكانها حكومة جديدة مؤسساً اياها على مبادىء ، ومنظماً سلطاتها على وجه بحيث تبدو له انها أجدر بان تحقق له السلامة والسعادة . . . »

ولقد استمد جفرسون تفكيره من الفلاسفة الأولين . وكان لآراء روسو الأثر البالغ في القادة الاميركيين وفي يقظتهم وادراكهم لحقوق الانسان وواجبات الحكومات . ولا شك في ان منبع روح هذه الوثيقة يعود الى وعي القادة والشعب في اميركا والى المفاهيم التي نشأت عندهم من ان الحكومة ينبغي ان توجد من اجل الناس لا ان يوجد الناس من اجل الحكومة . فوظيفة الحكومة وهدفها في نظر جفرسون يتركزان في مساعدة الناس لحماية ارواحهم وطموحهم للسعادة ، وليس بكبت حرياتهم او إساءة استخدامهم .

●

ولمعت هذه الشرارات التي انبعثت من فرنسا واميركا في اجواء البلقان وتنبهت البلاد البلقانية الى الظلم الذي صبه عليها المستعمرون الاتراك في القرن التاسع عشر للميلاد . فانتبهت شعوبها وقامت

تطالب بحريتهـــا وتسعى الى ذلك ، فبذلت الجهود والاموال والارواح فنالت اليونان والصرب ورومانيا وبلغاريا استقلالها ، واعترفت الدول بذلك .

ولا بد من الاشارة الى ان هناك عوامل دولية ساعدت هـذه البلاد على التحرر . ولكن العامل الرئيسي الاول هو رغبة شعوب هذه البلاد في التحرر والاستعداد للنضـــال والتضحية ، وبذل الاموال والارواح في سبيل الكرامة والحرية .

ولست بحاجـــة الى التأكيد ان الحافز الدافع الى وعيهم وثوراتهم هو في ما أنزله الاتراك ببلاد البلقان من مظالم واضطهاد وارهاق ايقظتها من سباتها وأزاحت عن اعين شعوبهـــا غشاوة الكسل والخمول والجمود .

وما دمنا في ذكر الامثلة على حسنات الظلم والاستبداد ، فلا بد لنـــا من الاشارة الى تركيا . فان انهزام تركيا في الحرب العالمية الاولى، وما جرّه المسؤولون والحكام الاتراك من ويلات ومصائب على البلاد التركية ، كل ذلك قد دفع الاتراك الى ان يثوروا ويقاوموا الاهوال التي بدأ الحلفاء يصبونها على تركيا فظهر اتاتورك واصحـــابه وقادوا تركيا من نصر الى نصر فأقاموا لها كيانها ، ومهدوا لانقاذها وخلاصها وتحركها في ركب المدنية .

وهناك اندونيسيا فقد دفعتها المظالم والاهوال التي قاستها من الاستعمار الهولندي، الى الثورة واعلان العصيان، وحالفها التوفيق فأصبحت ، بفضل جهادها وظلم المستعمرين الهولنديين، دولة مستقلة ذات هيبة وكيان . ولدينا امثلة اخرى كثيرة تؤيدها ما نذهب

اليه من ان الظلم والاستبداد والضغط والاستغلال، قد انتجت وعياً ويقظة وتقدما وخيراً لكثير من اقطار العالم، كالهند، وباكستان، ومصر، وإيران، والصين، والملايو.

●

ونأتي الآن الى ظلم جديد وهو ظلم عبقري فريد، ولعله احدث انواع الظلم، قد صبّه الاستعمار على العرب في القرن العشرين، ولم ينكب بمثله بلد من بلاد العالم او شعب من الشعوب. فلقد قام هذا الظلم على تشريد مليون لاجيء وضياع اوطان وحقوق، فكانت الكارثة – وهي كارثة العرب اجمعين. وكان لهذه الكارثة أبلغ الأثر في تنمية الوعي واليقظة الفكرية عند العرب في سائر ديارهم، بما يؤذن بتحول خطير في الاتجاهات والاندفاعات. وفعلاً بدأ هذا التحول يبدو للعيان في استفاقة العرب من هجعتهم ونهوضهم من كبوتهم، فإذا الدعوة الى الاخذ بأساليب الغرب في التقدم والكفاح تجري في طريقها على الرغم من المصاعب والعقبات، وتتجه اتجاهاً سليماً.

إن الصعاب والمشاكل تحيط بكل نهضة وتعترض كل حركة ترمي الى التقدم، فعلى الشباب أن لا تثنيهم المتاعب والنكبات عن عزمهم في تحرير بلادهم والنهوض بها. وعلى الشباب ان يدركوا ان قومهم ليسوا الوحيدين في مجابهة الصعاب والمآسي، فكل امة نهضت جابهت ما يجابهه العرب من العقبات، ولكنها تغلبت عليها، وكان الظلم النازل بها حافزاً دفعها الى ان تجدّ وان تجتاز هذه العقبات. وفي امكان العرب، إذا عزموا وارادوا،

أن يجتازوا عقباتهم ويقتحموا الصعاب ، ذلك لأنهم كغيرهم من الأمم ، من الكائنات الطبيعية الحيّة التي تكمن فيها القابلية للحياة، والقوة لأداء رسالتها .

ليست المشاكل والموانع بشيء إذا مـا آمن العرب بحقهم في الحياة والتقدم . لهذا وجب على العرب أن لا يفزعوا من هول النكبات المنصبة عليهم وأن لا يعتريهم هلع من المصائب المحيطة بهم ، وعليهم ان يؤمنوا بقابليتهم وصلاحيتهم لأداء رسالتهم وان يثقوا بانفسهم وحيويتهم . وبذلك تتلاشى الصعاب وتزول العقبات امام الارادة والثقة والايمان .

هذا هو طريق الخلاص ، الطريق المؤدي الى انقـاذ العرب من ورطتهم الكبرى وكارثتهم . وهذا هو طريق النهوض والتقدم في معارج الحرية والكرامة والخلود .

نحن والانكليز

العقلية الانكليزية وتأثرها بمذهب النفعية ـ سلوك الانكليز المادي مع الدول والشعوب ـ فشل السياسة الانكليزية في الشرق ـ علاقة الانكليز بكارثة فلسطين، أهداف الاستعمار من انشاء دولة اسرائيل ـ الانكليز والاردن والمعاهدة ـ مزايا المعاهدة يجنيها فريق واحد (الانكليز) ـ نقض المعاهدة وعدم تقيد بريطانيا بنصوصها وروحها ـ الاشارة الى المعونة المالية وحقيقة القروض من بريطانيا ـ الانكليز اصل الداء ـ الخلاص في الغاء المعاهدة والقضاء على اسطورتها والتحرر من اغلال القروض والمحالفات ـ وسائل الكفاح الجديدة وازمة الكيان .

●

تتخبط بريطانيا في سياستها الخارجية وفي علاقاتها بالشعوب العربية والشرقية تخبطاً افقد الانكليز كثيراً من المزايا التي كان الناس يلصقونها بهم، وكشفهم على حقيقتهم، وابان للناس العقلية الانكليزية دون طلاء او تمويه. وأظهر ان تصرفاتهم وسلوكهم مع العالم خارج بلادهم تقوم على المادية والانانية . فهم لا ينظرون الى المشاكل الا من زاوية مصالحهم الخاصة ، ولا يتقيدون بأية عهود او وعود . لقد عبثوا بكثير من المبادىء الاخلاقية ، وهتكوا

أستار المعنويات ، وتمادوا في الاستهتار بالحقوق والقواعد الاساسية للمعاملات ، وذلك في سبيل اغراض خاصة ومنافع ذاتية . وبينا تراهم يتجهون اتجاهاً معيناً في قضية شعب من الشعوب ، اذا بهم يغيرون الاتجاه دون اي اعتبار لحق او مثل عليا لاعتقادهم ان في هذا التغيير جلباً لبعض المنافع لهم . وقد يؤدي سلوكهم هذا الى ضياع حقوق الآخرين وتعريض بكرامتهم وارهاقهم في مادياتهم ومعنوياتهم . . . فهم يستسيغون ذلك ويبررونه ، مستغفلين العالم والناس ومستهينين باصول المعاملات والحقوق .

وقد يسأل احد الناس : الم يدرك الشعب البريطاني – وقد بلغ شأواً بعيداً في التقدم المادي والثقافي – ان هذه الاساليب الاستعمارية التي يتبعها ساسته مع الشعوب ، وان هذه الانانية التي تتميز بها سياستهم لم يعد يحتملها او يصبر عليها احد ، وانها اصبحت لا تتمشى وتقدم الفكر ويقظة الضمير العالمي ؟ وهذا السؤال يؤدي الى سؤال آخر : ما هو التعليل لعدم يقظة الضمير البريطاني ووقوفه جامداً امام الاساليب التحكمية والاستعمارية التي سارت عليها الحكومات الانكليزية ، وهي اساليب لا تتماشى مع روح العصر والعدل ، عدا كونها تخالف منطق التاريخ وقواعد الحق والمعاملات ؟

إن الشعب الذي يستسيغ مأساة فلسطين واقامة دولة اسرائيل ، بعد ان مهدت حكومته لتشريد مليون عربي ،

وسلب اموالهم وحقهم في الحيـــاة في بلادهم ، ان الشعب الذي يستسيغ المظالم التي صبها الانكليز في الهند وايران ، والتي لا يزالون يصبونها في البلاد العربية والملايو وكينيا : اقول ان هذا الشعب الذي يستسيغ كل ذلك ويرضى بالاساليب الباغية التي تلجأ اليهـا حكوماته لهو شعب ناقص التربية ، جامد الضمير .

ذلك لان التربيـة التي لا تنمي في الشعب روح العدل الشامل وروح الخير العام وروح النفور من الظلم والاعتداء لهي تربية ناقصة قد طغت عليها المادية والنفعية فاعمت الشعب عن الحق والحقائق ، فضاق افقه ، واصبـح لا ينظر الى القضايا والمشاكل الا من زوايا مصالحه واغراضه .

ومن يدرس مذاهب بعض الفلاسفة الانكليز يتبين له السر في جمود الضمير البريطاني . فمذاهب الفلاسفة الاخلاقية توضح لنا المثل الاعلى الذي كان لهـذا الشعب او ذاك . ويمكن اتخاذها مقياساً لتقدم الضمير الانساني . ولقد برز في انكلترا في القرن التاسع عشر الفيلسوف جون ستيوارت ميل وهو صاحب مذهب خاص في الاخلاق يطلق عليه اسم مذهب النفعية او Utilitarianism ويقوم هـــذا المذهب او هذه النظرية الاخلاقية على اعتبـــار المنفعة اساسا للاخلاق . وقد اتى (ميل) في شرح ذلك على بيان غريزة حب المنفعة وارجاع الفضائل اليها ، مستعيناً في هـذا بعلم النفس والاجتماع . وليس المجال الآن مجال تفصيل هذا البيان . . . ولكن يمكن

القول ان مذهب (ميل) في النفعية لم ينته الى الغاية التي ارادها له بعض الفلاسفة ، بل جنى على الاخلاق ونزل بها عن مستواها العالي بجعله (المنفعة) اساس كل عمل ، وارجاعه الاعمال الاخلاقية الى بعض الغرائز والقوى النفسية . وعلى هذا تسير الاخلاق على ضوء الغرائز والميول بدلا من ان تضبط الاخلاقُ ما في الانسان من غرائز جامحة وميول عنيفة .

لقد تأثر الانكليز بهذا المذهب ، فساروا في اخلاقهم وتصرفاتهم ومعاملاتهم على اساس (النفعية) ، وسايروا ميولهم وغرائزهم وكيفوا اخلاقهم وفقها ... فكان من هذا الطابع الذي تميز به الانكليز عن سواهم وهو « مصلحة بريطانيا فوق جميع المصالح » ، حتى ولو كان في ذلك الاضرار بالناس ، والاستهتار بحقوق الشعوب والاستهانة بالكرامات . ولهذا لم يعد مجال للدهشة او العجب من الخلق الانكليزي ومن تسييره في الطرق المؤدية الى المصلحة الذاتية والخاصة ، ولا من عدم تقدم الضمير البريطاني على الرغم من التقدم الكبير الذي اصابه الانكليز في جميع ميادين الحياة . فسياسة الانكليز الخارجية واتجاهاتهم الخلقية تتحرك كلها في دائرة النفعية والمادية والاستغلال . وهم ينظرون الى حقوق الشعوب الاخرى ومصالحها والى الانسانية من زوايا مصالحهم ومنافعهم . وقد نجحت هذه السياسة وهذا السلوك بعض الوقت في القرن التاسع عشر والربع الاول من القرن العشرين . ولكن بعد ان تقدم العلم هذا التقدم العجيب وبعد ان استيقظت الشعوب

فهبت من غفلتها اصبح من المستحيل على بريطانيا ان تنجح في اساليبها وخططها الاستغلالية .

وعلى الرغم من فشل السياسة البريطانيـة في الشرق في هذه الايام ، وعلى الرغم من تتابع النكسات عليهـا ، فلا تزال (بريطانيا) تسير في سياستها مع العرب وغير العرب بعقلية القرن التاسع عشر وباساليب التحكم والضغط والاستغفال ودون اي اعتبار لعهود او وعود او قرارات دوليـة او التزامات عامة وخاصة . واذا درسنا موقف انكلترا من فلسطين نجد انها قـد تقيدت بالسياسة الاستعمارية الـتي تسير عليها وبمذهب (النفعية) فجعلت « مصلحة الانكليز وحدهم » فوق كل اعتبار ، غير عابئة بالوعود التي قطعتهـا للحسين باستقلال جميع البلاد العربية ، متنكرة للمبادىء والالتزامات التي ارتبطت بهـا في الحرب العالمية الاولى وبعدها في السير في سياستها نحو تحقيق رغبات الشعوب في الحرية والاستقلال . فالانكليز ينثرون الوعود ويعدون الشعوب الضعيفة بالتحرير والوفاء والمساعدة في الاوقات التي يشعرون فيها بانهم في حاجة الى مساعدة الشعوب وخدماتها . ويقضي الانكليز حاجتهم وينالون ما يبغون من مساعدات ومعونات ... ثم ينقلبون دون التقيد بالوعود او المواثيق . وفي كثير من الاحايين تدفعهم مصالحهم المادية وروح النفعية المتغلغلة في اعماقهم الى مقاومة اصدقائهم وحلفائهم بالامس وايقاع الاذى بهم دون اي اعتبار لصداقة او مواثيق او قيم اخلاقية . وما تصرفاتهم

مع العرب في الحرب العالمية الثانية وبعدها وموقفهم من عرب فلسطين الا الدليل القاطع على ما ذهبنا اليه من اتقانهم لفنون الاخلال بالعهود والوعود والاستهتار بمصالح غيرهم .

ان الانكليز هم العامل الرئيسي الاول في كارثة فلسطين . فلقد استلموا البلاد عربية عام ١٩١٨ وسلموها الى اليهود عام ١٩٤٨ مهشمة ، محطمة ، قد نزح عنها سكانها واصحابها العرب وتشردوا في بقاع الارض بعد ان تركوا اموالهم واملاكهم ووطنهم نهباً للاعداء المعتدين ...

لقد ترك الانكليز البلاد لا بضغط خارجي او تحت ظروف دولية ، بل تحقيقاً لسياسة رسموها ، مستهدفين خلق دولة يهودية في الشرق العربي كعامل رجعي يشغل العرب عن الاخذ باسباب التقدم ، كما يضع العرب في اوضاع شاذة تشعرهم باهمية بريطانيا وحاجتهم الى حمايتها ورعايتها لتواصل استغلال البلاد ، وتحقيق مطامعها الاستعمارية ومصالحها المادية : قال الانكليز : ان وعد بلفور يعني ايجاد وطن روحي لليهود في فلسطين ... ونما هذا الوعد فاذا هو وطن روحي وثقافي ... وترعرع هذا الوطن في احضان الاستعمار والمستعمرين ... فاذا هو دولة يهودية ... وقامت اسرائيل بمعونة بريطانيا وحرابها واموال اميركا وتأييدها . وبدأت هذه الدولة اعمالها الانسانية ... في تشريد العرب وسلب اموالهم واملاكهم واخراجهم من ديارهم يهيمون في البراري والقفار وفي ركاب البؤس والشقاء ... وفي طرفة عين

ينسحب الانكليز من الميدان لا يعنيهم من امر فلسطين شيئاً ... يتباهون بتنصلهم وحيادهم ... وتخرج قضية فلسطين الى المجال الدولي ، وتتخذ هيئة الامم قرارات بشأن فلسطين ... ويقف الانكليز منا موقفاً جامداً لان مصلحة الانكليز الخاصة هي في هذا الجمود وهذا الوقوف ... اما المظالم التي انصبت على العرب ، والشقاء الذي لا يزال يحيط بهم ، والكوارث التي نزلت عليهم بسبب مصالح الانكليز ومادية الانكليز فلا اعتبار لها في نظر بريطانيا ، ولا اهمية ولا قيمة ... وحين جاء دور مندوب بريطانيا في اللجنة السياسية الخاصة المنبثقة عن الجمعية العمومية للامم المتحدة في مناقشة قضية فلسطين ... ايد هذا المندوب مزاعم اسرائيل كلها ، كما رفض جميع المشاريع التي تقدمت بها الوفود العربية والاسلامية ، واعلن رفضه لاي تقيد باية قرارات اتخذتها هيأة الامم في السابق بشأن فلسطين . وهكذا تستمر بريطانيا في سياستها ضد فلسطين ، فهي لم تكتف بانها انشأت دولة لليهود وجعلت منها (اي بريطانيا) واميركا شركة هدفها مساعدة اسرائيل ودعم كيانها وامدادها بالاموال والاسلحة والتأييد ... بل راحت تدعو دول العالم الى الاخذ برأيها القائم على تجاهل قرارات هيأة الامم ، وتطلب من الدول العربية الدخول مع اسرائيل في مفاوضات مباشرة دون قيد او شرط على اساس اهمال الالتزامات والقرارات السابقة ... ولم تقف بريطانيا عند هذه الحدود ... بل

حذر مندوبها الدول العربية قائلاً :

« على الدول العربية ان تدرك ان اي تأخير في اجراء المفاوضات مع اسرائيل يعني تثبيت الوضع الحالي وتعقيد القضية ... »

اما اللاجئون فقد تعطف المندوب البريطاني على ضوء التعليمات التي وصلته وعبّر عن قلقه على مصيرهم ... ثم تقدم بالنصيحة الغالية الماكرة ... وهي ان يظلوا حيث هم ويقبلوا التعويض ... وبذلك تنتهي هذه القضية وتستريح هيأة الامم من بحثها ...

والغريب أن نجد من يقول ان كل ما فعله الانكليز لا يدل إلا على صداقة الانكليز للعرب ، وانه الدليل القاطع على ولائهم للعرب واخلاصهم لهم ... هذا ما يقوله الانكليز ... فقد قالت به صحف لندن ... وقاله المندوب البريطاني بعد بيانه في هيأة الامم في مذكرة تفسيرية خاصة، وقد صرح به ناطق باسم وزارة الخارجية البريطانية .

فهل هناك من استغفال واستهتار بالعقول بعد هذا الاستغفال والاستهتار ؟؟

انا افهم ان يقول الانكليز ان مصالحنا الخاصة تحتم علينا السير في سياستنا في هذا الطريق ، وان كنت لا اجيزه سبباً ولا اقبل به مبرراً ، ولكن لا افهم ان يقلبوا الحقائق ويجعلوا من الباطل حقاً ، ومن العداوة صداقة، ومن الغدر وفاء..ولكنها النفعية.. ولكنها المادية الوضيعة !.. ولكنها العبادة للمصالح الخاصة

هي التي اعمتهم واضلتهم وجعلتهم يستغفلون الناس والعالم ، كما دفعتهم الى الاستخفاف بالناس وعقولهم ...

ونرجع الآن الى علاقة بريطانيا بالاردن ، ونستعرض مراحل المعاهدة التي ربطت هذه المملكة بها . لقد نشأت علاقات هذه البلاد مع بريطانيا عند نشوء « نظام الانتدابات » الذي ابتدعته عصبة الامم بعد نهاية الحرب العالمية الاولى ، فتولت بريطانيا بموجب ذلك الانتداب ، الانتداب على فلسطين وشرق الاردن ...

ولسنا بحاجة الى الاشارة الى ان انتداب بريطانيا على فلسطين كان انتداباً مباشراً - اي ان الحكم فيها كان بيد الانكليز مباشرة - اما في شرق الاردن فقد اقام الانكليز حكومة مستقلة لتسيير الحكم في البلاد بموجب اتفاقية خاصة عقدت بينها وبين الامير عبد الله بن الحسين في سنة ١٩٢١. وقد ظلت بريطانيا تمارس سلطتها الانتدابية على شرق الاردن حتى اوائل ١٩٤٦ عندما تخلت عن انتدابها فاعلن المغفور له الملك عبد الله قيام « المملكة الاردنية الهاشمية » مملكة مستقلة ذات سيادة ، واعترفت بريطانيا بهذا الاستقلال التام للبلاد بمقتضى معاهدة صداقة وتحالف عقدت بين الدولتين في ٢٢ اذار سنة ١٩٤٦ ، وكان ذلك في عهد حكومة السيد ابراهيم هاشم . وفي ١٥ اذار سنة ١٩٤٨ - اي بعد انقضاء سنتين على معاهدة التحالف الاولى - عقدت بين الدولتين معاهدة تحالف جديدة لمدة عشرين عاماً ، تضمنت بعض

التعديلات للمعاهدة السابقة ، وتم ذلك في عهد حكومة كان يرأسها السيد توفيق ابو الهدى . ولم يكن هناك اي اختلاف جوهري بين المعاهدتين من حيث المبنى والمعنى والروح ، وقد يكون هناك بعض الاختلاف البسيط في الاسلوب والتعابير والالفاظ . وعلى كل حال فان المعاهدة الاخيرة - مع توابعها - من ملحق عسكري ورسائل متبادلة - هي التي تنظم روابط التحالف بين الاردن وبريطانيا في الوقت الحاضر ، ونصوصها هي المرجع في تحديد علاقاتنا الدولية مع الحكومة البريطانية .

وفي ١٥ نوار سنة ١٩٤٨ تنازلت بريطانيا عن انتدابها على فلسطين وانسحبت منها ، بعد ان مهدت بمختلف الاساليب التشريعية الظالمة ووسائل القوة والعنف لقيام دولة اسرائيل في القسم الاكبر من فلسطين . وبعد ذلك جرى ضم بقايا فلسطين الى شرق الاردن ، واعترفت بريطانيا بهذا التوحيد بين الضفتين ، واصبحت هذه المملكة مشمولة ايضاً بمعاهدة التحالف المشار اليها .

والآن ارجع الى المعاهدة - واقول بعد مراجعتها ودرسها انها (اي المعاهدة) قائمة بين الاردن وبريطانيا على اساس التساوي في الحقوق والالتزامات ، وفقاً للقواعد والمبادىء الدولية ، باعتبار ان كلاً من الفريقين هو دولة مستقلة ذات سيادة ...

وقد جاء في مقدمة المعاهدة ان المعاهدة « قد عقدت

بدافع اصدق الرغبة في تمكين الصـــداقة والعلاقات الودية بين الفريقين ، ولتثبيت هذه العلاقات على اسس ملائمة للتأكد من تنمية هذه الصداقة ، ولرغبة الفريقين في تقوية ما يتمكن كل منهما من المساهمة فيه عن طريق التعاون والمساعدة المتبادلة في سبيل صيانة السلم والامن الدوليين وفقاً لاحكام وميثاق الامم المتحدة ... » وبموجب نصوص هذه المعاهدة نجد انها تتناول ثلاث نواح : سياسية ودفاعية ومالية . ففي النـــاحية السياسية نصت المادة الاولى من المعاهدة « على ان يستمر التحالف الوثيق بين الفريقين توطيداً لصداقتهما وتفاهمهما الودي وصلاتهما الحسنة ، وعلى ان يتعهد كل منهما ان لايقف تجاه البلاد الاجنبية موقفاً لا يتفق وهـذا التحالف او يخلق مصاعب للفريق الآخر » .

والآن يحق لنا ان نتساءل :

هل كان موقف بريطانيا تجاه اسرائيل منذ البداية يتفق مع تحالفها معنا ؟

وهل موقف بريطانيـا بالنسبة لمشروع القرار الاخير في هيأة الامم المتحدة حول قضية فلسطين يعتـــبر متفقاً مع وسائل تمكين الصداقة وتنميتها بيننا ؟

ألا يعتبر هذا الموقف البريطاني موقفاً شاذاً يخلق المصاعب للمملكة الاردنية ، وهي الحليفة والصديقة لبريطانيا ؟

اما كان من الواجب على بريطانيا ، وهي تتعهد بالتزامات حسب نصوص المعاهدة ومبادئها ، ان تتشاور مع الحكومة

الاردنية في هـذه القضية للاتفاق على الموقف السياسي الذي ستتخذه في هيأة الامم ؟ او على الاقل ان تتجنب بريطانيا اتخاذ الموقف الذي اتخذته فعلاً لصالح اسرائيل ودعمها ؟

انَّ بريطانيا بسلوكها هذا قد نقضت هذه المعاهدة ، ولم تتقيد بنصوصها ، وسارت في طريق يخالف التحالف والصداقة بينها وبين الاردن ، مما أوجد مصاعب خطيرة لهذه البلاد . لا سيما وان المملكة الاردنيـــة تضم ما تبقى للعرب من اراضي فلسطين ، وهي ، اي المملكة ، قد ورثت بريطانيا في جميع التزاماتها عن تلك البقية بصفتها الدولة المنتدبة سابقاً .

ان بريطانيا بخلقها هذه المصاعب للأردن قد خالفت المعاهدة واستهانت بروحها ونصوصهـا ، كما استهترت بالفريق الآخر وهو الاردن ، وجعلته مطية لاغراضها وتحقيق مطامعهـــا الاستعمارية والمادية ، دون اي اعتبار لتحالفه وصداقته وقيامه بالتزاماته كاملة غير منقوصة ، بل وقيـامه بالتزاماته أضعافاً مضاعفة .

ونستعرض الآن ناحية الدفاع في المعاهدة :

ان هذه الناحية تتناول نصوص الملحق بالمعاهدة ، وتنص هذه النصوص على كيفية التعاون بين الدولتين في شؤون الدفاع المشترك عن مصالحهما .

تنص المادة الثانية من الملحق على ما يلي :

« ... مراعاة لمصالح الدفاع المشترك بين الفريقين الساميين المتعاقدين تؤلف فور دخول هذه المعاهدة حيز التنفيذ هيأة

استشارية مشتركة قائمة لتنسيق شؤون الدفاع بين حكومتي الفريقين الساميين المتعاقدين ضمن نطاق هذه المعاهدة . ان هذه الهيأة التي تعرف باسم هيأة الدفاع الاردني الانكليزي المشترك ستؤلف من ممثلين عسكريين ذوي اختصاص من كل من حكومتي الفريقين الساميين المتعاقدين باعداد متساوية...»

ثم تذكر المادة الاعمال التي تقوم بها هيأة الدفاع ...

وكذلك ينص البند الرابع من المادة ٦ على ما يلي :

« ... يقدم صاحب الجلالة البريطانية عندما يطلب منه ذلك اية افراد من القوات البريطانية تلزم خدماتهم لضمان الكفاءة في الوحدات العسكرية من قوات صاحب الجلالة ملك المملكة الاردنية .. »

ومن الواضح ان هذه النصوص وغيرها تجعل المعاونة العسكرية التي يتحتم على بريطانيا ان تؤديها الى الاردن مقتصرة على اشتراك ضباط بريطانيين في هيأة دفاع أردني بريطاني ، متساوين في العدد مع الضباط الاردنيين . وان اية افراد من القوات البريطانية تلزم خدماتهم لضمان الكفاءة في الوحدات العسكرية الاردنية لا يمكن قدومهم الا بناء على طلب الحكومة الاردنية .

والآن يتوارد الى الذهن بعض الاسئلة ...

هل جميع الضباط الموجودين في الوحدات العسكرية يتولون مراكزهم بناء على طلب الحكومة وموافقتها ؟ ألا يمكن استبدال الضباط البريطانيين الموجودين الان في الجيش

العربي على رأس وحدات عسكرية بضباط اردنيين دون أن يضعف ذلك من مقدرة تلك الوحدات وكفاءتها ؟

وفوق ذلك جاء في البند الخامس من المادة السادسة أن صاحب الجلالة البريطانيـــة يقوم بتقديم الاسلحة والتجهيزات والطائرات والذخائر والمواد الحربية الآخرى الى قوات صاحب الجلالة الاردنية . فاين هي هذه الاسلحة الثقيلة ؟ واين هي الطائرات ؟ لقد افتقدناها ونحن في اشد الحاجة اليها عـــلى اسوار القدس وفي حالات اعتداءات اليهود المتكررة على البلاد . ولماذا لا يسير المسؤولون والحكومة في الاردن على نصوص المعاهـدة المتعلقة بالجيش ويقصرون العلاقـة بين بريطانيا والاردن على هيئة دفاع اردني بريطاني فقط ؟ ان مسؤولية الخروج على نصوص المعاهدة في هـذا الشأن تقع على الحكومة الاردنية اولاً وآخراً ، فعليها يقع التقصير في سكوتها ، وعليها وعـلى الحكومات السابقة يقـع اللوم في التهاون في تطبيق المعاهدة من النواحي العسكرية وفي السماح للفريق الآخر ان يتمادى في تدخله وسيطرته .

اما المساعـدة المالية للوحدات العسكرية فشأنهـــا مرتبط برسالتين متبادلتين بين ممثل الحكومة الاردنية السيد توفيق ابو الهدى وممثل الحكومة البريطانية السير الك كركبرايد .

وعلى اساس هذه الترتيبات تدفع الحكومة البريطانية في الوقت الحاضر سنويا جميـع تكاليف الجيش العربي الاردني ونفقاته . ولا شك في ان هنالك خطراً كبيراً من جعل الاعتماد

يقع كليا على بريطانيا ، اذ يمكن لبريطانيا في اي وقت أن تقطع هذه الاعانة . وحينئذ كيف يمكن للجيش ان يقوم بمسؤولياته ويمارس اعماله ؟ بل ان هذا الاعتماد الكلي يجعل من الجيش قوة لا يمكن لاهل البلاد ان يستفيدوا منها الفائدة المتوخاة اذا لم يكن لبريطانيا رغبة في ذلك . وقد سبق لبريطانيا ان هددت بقطع المساعدة البريطانية في حرب فلسطين عندما شعرت بان المسؤولين في الاردن قد يدفعون بالجيش الى مدى اوسع من المدى الى رسموه .

هذه هي بعض اوجه المعاهدة قد عرضناها بايجاز ، ويتجلى من نصوصها ومن سلوك احد الفريقين (الانكليز) في عدم التقيد بها والاخلاص لروحها ، ان الذي يستفيد منها هو فريق واحد (الانكليز) وان الفريق الآخر (الاردن) يقوم باكثر مما هو مطلوب منه في المعاهدة ، بل انه يتهاون في المطالبة بالتقيد بنصوص المعاهدة وممارسة حقوقه فيها . والانكليز في سلوكهم وتصرفاتهم قد اقاموا الدليل بعد الدليل على انهم لا يحترمون معاهدة ، ولا يتقيدون باصول او نصوص ، وانهم يستغلون المعاهدات لمصالحهم واغراضهم ، غير عابئين بحقوق الآخرين ومصالحهم . فهم يسيرون في معاملاتهم ومعاهداتهم وعلاقاتهم مع الشعوب الاخرى على اساس من المادية والانانية والنفعية ، ولا يتورعون عن نقض وعودهم وعهودهم واستعمال احط الاساليب ، كما انهم لا يتورعون عن اللجوء الى الغدر والكذب والاذى في

سبيل تحقيق مطامعهم والوصول الى غاياتهم واغراضهم .

لا قيمة لأي تحالف معهم ، وعلى هذا فمصلحة هـــذه البلاد تفرض على المسؤولين من نواب وحكومة ان يفكروا جديا في الخلاص من الانكليز ، وان يلجأوا الى الوسائل العملية التي تحررهم من قيود المساعدات واغلال المعاهدات ، ولا يقوم هـذا إلا على اساس حل ازمة الكيان بانشاء اتحادات سياسية وعسكرية واقتصادية مع البلاد العربية الشقيقة ففي ذلك قوة وهيبة ، ودون ذلك ضعف واذلال .

ان هذه البلاد فقيرة ، وان كانت مواردها الطبيعية غنية ، ولكنها غير مستغلة وتحتاج الى رؤوس اموال كبيرة .

وعلى الرغم من حالة الفقر التي تسيطر على البلاد نجـد ان محاولات الحكومة الاردنية لاستثمار هذه الموارد تصطدم دائماً بعقبات الارتباط بالتحالف البريطاني الاردني .

ومن الطبيعي ان تقف بريطانيا موقفاً جامداً وسلبياً من معاونة عرب هـذه البلاد في استثمار مواردهم ، لانها (اي بريطانيا) ترى في انعاش هـــذه البلاد اقتصادياً ما يتعارض ومطامعها الاستعمارية ، ولهذا فهي تسير في سياستها على وضع العرب في حالات اقتصادية وعسكرية تجعلهم دائماً في حاجة الى بريطانيا ومعوناتهـــا التافهة حتى ساد الاعتقـــاد عند الكثيرين بان خلاصنا في قيودها ومعاهداتها ، وانعاشنا في مساعداتها وقروضها ، وحمايتنا في وجودها ونفوذها .

وعلى ذكر القروض لابد لنا من الاشارة الى المساعدات المالية

الوحيدة التي نالتها البلاد من بريطانيا حتى اليوم اقتصرت على قرض منحته الحكومة البريطانية للاردن منذ عامين اثنين ، وقدره مليون دينار ، وقرض آخر منح في العام الفائت ، وقدره مليون دينار ، وقرض ثالث منحته الحكومة البريطانية في العام الحالي ، وقدره مليون ونصف مليون دينار . ولكن ... وهنا بيت القصيد ... تبين ان هذه المبالغ وان كانت قد اعطيت بصفة قروض تسدد في مواعيد معينة وبدون فائدة ... فان بريطانيا استطاعت ان تقدمها على اعتبار انها جزء من اصل المبالغ التي ساهمت وتساهم فيها الدول الاعضاء في هيئة الامم المتحدة لاغاثة اللاجئين . ومع ذلك فان الشروط التي بمقتضاها صرفت وتصرف هذه القروض لا تترك للحكومة الاردنية الحرية او الخيار في انفاقها على ما تراه هي بنفسها ضرورياً ولازماً لرفع اقتصاديات البلاد واستثمار مواردها الطبيعية .

وخلاصة القول ... ان الانكليز هم اصل الداء واساس البلاء ...

وان البلاء يكمن في تلك القيود ، والداء يستقر في هذه الارتباطات والمحالفات ، وان الضنك الذي يعانيه العرب والمصائب التي نزلت عليهم هي من « افضال » بريطانيا وخيراتها ... واني اتوجه الى جميع المواطنين ، ولا سيما الذين لا يزالون يحسنون الظن بالانكليز ، ويعتقدون ان حل قضية فلسطين وسائر مشاكلنا لا يكون الا عن طريق الانكليز

وتوجيهاتهم ... الى هؤلاء اقول : ان بريطانيا هي اساس النكبة التي حلت بالعرب ، وساستها هم الذين رسموا خطوطها واقاموا دعائمها في بناء دولة اسرائيل وحمايتها ورعايتها . فلا ترتجوا خيراً من الانكليز ... واعلموا ان خلاصنا يتركز في تحرير البلاد من الانكليز ومعاهداتهم ، ومن اي نفوذ اجنبي وفك قيوده واغلاله ... وان كفاحاً لا يقوم على هذا الاساس وفي نطاقه كفاح باطل لا ثمر فيه ولا حياة معه...

وعلى ذلك فاني ارى ان يتجه كفاحنا في الطريق المؤدي الى الغاء المعاهدة ، والخلاص من قيود المساعدات من بريطانيا وغيرها .

وقد يسأل سائل : وكيف يمكن ذلك واوضاع البلاد الاقتصادية على ما نعرفها عليه من شذوذ وضعف؟وهل في استطاعة الاردن ان تقوم بنفقات الجيش ؟ والجواب : نعم يمكن ، بل ان مصلحة البلاد تفرض علينا ان نجعل ما يظنه الناس الآن مستحيلا ، ممكناً وقريب المنال .

علينا ان نقضي على هذه الاسطورة التي تقول بالمعاهدة واهميتها لنا .

علينا ان نقضي على هذه الاسطورة التي تقول ان الويل سينصب على هذه البلاد اذا سرنا في طريق الخلاص من المعاهدة وفك قيودها واغلالها . ان هذه المملكة تعاني ازمة في كيانها وهي لا تملك شيئاً من مقومات الدولة . فهي تعتمد اعتماداً كلياً على المعونة البريطانية وعلى ما تقدمه وكالة

الغوث الى اللاجئين ... وهذا ما لا يجب ان يكون ... بل ان وجودنا لا قيمة له ولا معنى فيه اذا استمر الحال في البلاد على هذا المنوال ... واني اذهب الى ابعد من هذا فأقول ان اعتمادنا على المعاهدة والمعونات الاجنبية قد اوجد شذوذاً في اوضاع هذه البلاد من النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . كما ان علاقة البلاد ببريطانيا هي عامل من عوامل إشغالنا عن الأخذ بأسباب التقدم وتخلفنا عن ركب الحضارة .

وعلى ذلك فخطوط الخلاص يجب ان تتجه اولا الى الناحية الاقتصادية . وعلى المسؤولين والمفكرين توجيه الجهود الى الاهتمام بهذه الناحية واللجوء الى احدث الاساليب لاستثمار امكانيات البلاد وانعاشها . وقد يحتاج ذلك الى قروض من بلاد عربية والى دعوة اصحاب رؤوس الاموال العربية الى الاخذ بناصر الاردن ودعمه ... وليس هذا بالامر الهين ... ولكن ارادة الحياة يجب ان تتغلب على جميع العقبات والصعاب . وكذلك يجب ان تتحرك خطوط الخلاص في طريق الاتحاد مع احد الاقطار العربية ، ومن الطبيعي ان يبدأ هذا الاتحاد مع سوريا ومع كل قطر عربي يرحب بهذا الاتحاد .

واقول ان في الاردن من المزايا ما يساعد على التحامه (على اساس اتحادي) مع اي قطر من الاقطار العربية . فالأردني يتحسس بالخطر الذي يهدد الكيان العربي في سائر

الديار اكثر من اي عربي آخر . وهو لا يملك شيئاً من التعنت الاقليمي والغرور المحلي . وفيه من القابليات والمؤهلات ما يساعد على سرعة امتزاجه في محيط اوسع وبيئة اعرض . كما ان حساسيته بالاخطار المحدقة به قد صقلت عواطفه ، فجعلت من رغباته في التحرر والانطلاق إرادة فعالة جاهزة للعمل والاندفاع .

ولا شك ان هذه المزايا تزيل الكثير من العقبات التي تمهد لحل أزمة الكيان .

ولا بد هنا من الاشارة الى ان مصلحة العرب اجمعين هي في اتحاد الاردن مع سوريا وغيرها من الاقطار العربية . ذلك لان الأردن هو خط الدفاع الاول فاذا انهار هذا الخط اصبحت اسرائيل ومن ورائها الاستعمار تهدد الاقطار العربية تهديداً مباشراً .

واني اهيب بالمواطنين والمفكرين على اختلاف نزعاتهم ، ان يفكروا في هذه المشكلة الخطيرة التي تتعلق بكياننا ووجودنا . وان يضعوا خبراتهم ومعرفتهم وحيويتهم في ميدان المعالجة والاستقصاء للخروج من المأزق التي تقع فيها البلاد الى ساحل السلامة والاستقرار .

ولا شك ان هنالك وسائل واساليب يجب ان يتوصل اليها الناس ، وهي التي تنقذهم من الاخطار المحدقة بهم وتدفع عنهم ما يعانونه من ارهاق وشقاء .

ويدفعني الاخلاص للحقيقة ان أقرر ، ان الشعور بهذه

الاخطار التي تجابهها البلاد من اقتصادية وكيانية قد اصبح من القوة بحيث لا تستطيع القوى الاستعمارية او الرجعية ان تقف امامه ..

وستتحطم المحاولات لاضعاف ذلك الشعور والاستهتار به على صخرة الواقع والعلم والوطنية .

ازمة الكيان

•

حين اخلو الى نفسي ، بعد عناء العمل المرهق اثناء ساعات النهار ، احاول ان الجأ الى الهدوء والى اشغال عقلي في في مطالعات خفيفة ورياضات فكرية علّني اجد فيها منفذاً يخفف عني ضغط العناء والارهاق ، ولكني أخفق في كثير من هذه المحاولات ، إذ اجد اني لا أستطيع ان أدفع الافكار التي تهجم علي ، ولا ان امنع عقلي من التفكير في الاحوال الحاضرة والقضايا الخطيرة التي تجابهنا ، فهناك مشكلة اللاجئين ، وهي مشكلة قومية وانسانية اوجدها الظلم وصبّها الاستعمار على العرب ، فشغلهم بها واصبحت القضية الاولى ، لا يهدأ للعرب بال ، ولا يقر لهم قرار، إلا اذا حُلت على اساس العودة وارجاع الحقوق .

وهناك المشكلة الاقتصادية التي استفحل امرها . فالغلاء مستحكم ، وقد اخذ يشتد ويقسو ، والبطالة متفشية ، وقد بدأت تنذر بشرّ مستطير ، والاسواق في سكون ما بعده سكون ، والبلاد في اوضاع شاذة من اعتمادها على القروض والمعونات الاجنبية .

والجميع من نواب واعيان وموظفين وهيئات رسمية وشعبية ، يطالبون الحكومة بالاهتمام بهذه القضية ، وتوجيه الجهود لحلها ، وتسخير الامكانيات لرفع هذه الضائقة عن الناس .

*

والمشكلة التي تأخذ مني اكثر الجهد والتفكير هي مشكلة الكيان . فالمملكة الاردنية في واقع الحال « في أزمة كيان » لا يعانيها قطر من الاقطار في العالم . فوضعها شاذ من حيث اعتمادها على المعونات الاجنبية ، ومن حيث الظروف القاسية التي اوصلتها الى ما وصلت اليه ، والاعداء المعتدون يستعدون ويتأهبون للجولة الثانية ، فماذا اعددنا لهذا كله ؟

ان الكارثة التي المت بفلسطين والتي نتج عنها قيام دولة اسرائيل لهي كارثة العرب اجمعين ، وهي النذير لهم بان مصيرهم هو مصير فلسطين إذا استمروا على ما هم فيه من رجعية جامدة وعقلية محدودة وافق ضيق ، واساليب مرتجلة وتفكير سقيم .

وعلى الرغم مما نراه ونلمسه في بعض الدول العربية من يقظة ووعي ، فلا يزال اكثر المسؤولين يسيرون في معالجتهم القضايا والمشاكل بعقلية جامدة ، غير مراعين التقدم الذي اصاب الحياة في سائر ميادينها ، حتى اصبحت الاساليب القديمة لا تصلح لمعالجة الاوضاع الحاضرة ، بل هي في واقع

الامر من عوامل الكارثة، والنكسات التي وقع العرب في جحيمها في سائر ديارهم وامصارهم .

في مصر حركة تحريرية اؤمن بها وبنتائجها ، وهي البشير بانتهاء عصر العبودية والاستعمار . وان في خلاص مصر وتحرر عشرين مليوناً من العرب تمهيداً لخلاصنا وتحررنا ، فقوتها قوة لنا ، وما تحرزه من نصر في سائر الميادين هو نصر لنا وتدعيم لقضايانا .

ولكن يجب ان لا نستكين ، وان لا نقف عند حدود الاعتماد ، فالحقيقة التي لا مراء فيها هي ان هذه المملكة تعاني أزمة خطيرة في الكيان ، واين هو كيانها اذا رفعت عنها المعونات الاجنبية وتلاشت مساعدات الوكالة ؟ ولهذا فانه من واجب المتعلمين والمسؤولين ان يفكروا في ذلك . وان يعرضوا هذه الازمة على بعضهم بعناصرها وحقائقها ، ويمهدوا الرأي العام ليشترك معهم في الدرس والبحث والتفكير .

ومن واجب المسؤولين من حكومة ونواب وهيئات شعبية ان يتشاوروا في هذا الامر الخطير من جميع زواياه ، في مجالس واجتماعات خاصة وعامة ، فقد يصلون الى اقتراحات عملية ، وقد يتوفقون للعثور على الوسائل للخروج من هذه الازمة بما يضمن الكيان ويحفظه . وقد يكون من بين تلك الاقتراحات ما هو على جانب كبير من الاهمية ، مما يتصل بالعلاقات الاقتصادية والسياسية بين الاردن وبين الاقطار

العربية والشرقية .

ان أزمة الكيان خطيرة ، وهي تستحق العناية والاهتمام . فهي لا تحل بالمعاهدات او القروض او المعونات الاجنبية ، كما قد يتصور بعض الناس ، ولكنها تحل على خطوط عريضة من التضامن الاقتصادي والتساند السياسي والحربي ، وجعل المصالح ملتحمة ، والاهداف موحدة .

اما الاقتراحات والوسائل لوضع حد لهذه الازمة فيعود امرها الى مجلس النواب ليفصل فيها ، فهو المعبر عن رغبات الرأي العام ، وهو الذي يملي ارادة الشعب ، وهو الذي يستطيع ان يقر الخطوط العريضة لازالة الشذوذ في أوضاع هذه البلاد ومصيرها وكيانها .

أزمة الكيان ... ايضاً !

●

حين كتبت المقال الاول حول « ازمة الكيان » قصدت الى أن أؤكد نقطتين :

الاولى - ان هذه البلاد تعاني أزمة خطيرة ، تتصل بكيانها كدولة .

الثانية - ان المعاهدات والمعونات الاجنبية لا تحل هذه الازمة ، وهي حلول - إن جاز تسميتها كذلك - موقتة لا فائدة منها ولا غناء . وعلى ذلك يتحتم على المسؤولين من رجالات الامـة والشباب والهيئات الشعبية وأهل الفكر ، ان يفكروا في هذا الامر الخطير ، وان يتشاوروا في خطوطه العريضة والتفصيلية ، في اجتماعات ومجالس خاصة وعامة .

وقد تفضل صديقي الاستاذ انور الخطيب فكتب مقالاً يرد فيه على مقالنا ، وقد دفعه حسن ظنه ونُبل سجاياه إلى أن يوليني مدحاً قد لا استحقه كله ، واخذ عليّ « استعمال الخطوط العريضة » ، وطلب أن نبحث « في الخطوط الضيقة وان نتوسع فيها على صفحات الجرائد ليساهم الشعب بمجموعه

في مناقشة الحل الذي يراه وتأييده ان رآه صالحاً ..» على حد قول اخي الاستاذ انور . ثم ختم مقاله بان أعلن رغبته في ان آتي بمقال جديد عنوانه « حل ازمة الكيان » .

وانا اقرّ زميلي انور على ضرورة حل هذه الازمة ، فلا أزال في دور الدرس وبحث دقائق هذه الازمة ، وتقليبها على اوجهها على ضوء اوضاع البلاد العربية وامكانياتها والاحوال الاقتصادية والسياسية السائدة فيها .

وابادر الى الرد على « رد » الصديق الاستاذ انور فأقول ان استعمال « الخطوط العريضة » لا غنى عنه في هذا المقال ، والمقال السابق . ذلك لأن المصلحة تحتم الاشارة الى الخطوط العريضة لا الضيقة ، كما تقضي المصلحة بأن يقتصر بحث النواحي التفصيلية والفنية في اجتماعات خاصة يشترك فيها اصحاب الاختصاص في الشؤون السياسية والاقتصادية .

وقد أردت من مقالي الاول بذر الفكرة وعرضها في خطوطها العريضة على الناس ليتداولوها ويتذاكروا فيها ، ويفكروا في الخطوط التفصيلية المؤدية الى حل أزمة الكيان . ولا اكتم صديقي النائب أني قد استطلعت آراء بعض اصحاب الخبرات من ذوي الفكر الناضج ، ولا ازال أدرس معهم هذا الموضوع الخطير محاولاً الوصول الى حل عملي يتغلب على العراقيل السياسية والعقبات الاقتصادية والصعاب الاقليمية والمشاكل الخارجية الدولية . والمشكلة العظمى التي تجابهنا في البحث عن حل « ازمة الكيان » ، هي تشعب

الآراء وتباين النظريات ، واختلاف الاتجاهات . فمنهم من يحبذ بقاء الحال على ما هو عليه من اعتماد على المعاهدات والمعونات الاجنبية ، ومنهم من يرى ان الالتحام مع دولة عربية معينة هو الحل الوحيد ، ومنهم من يرى الالتحام مع دولة عربية أخرى هو الخلاص من ازمة الكيان ، ومنهم من يرى ان تركز الجهود في النواحي الاقتصادية ، وتترك الامور تجري حتى تتهيأ الظروف المناسبة ...

ونحن مع بعض الاخوان نستعرض هذه الاتجاهات والآراء ونسخّر في درسنا وبحثنا خبراتنا على ضوء واقعنا ، وامكانيات هذه البلاد والبلاد العربية الشقيقة ، وكلنا امل بان نُوَفّق الى العثور على حلٍ لأزمة الكيان .

وكنت انتظر من الاستاذ الخطيب ان يساعدنا في التمهيد لايجاد حل لهذه الازمة الخطيرة ، فانا اعلم انه ذو فكر ثاقب وعقل راجح ، وقلب يخفق بالولاء والاخلاص لعروبته وبلاده .

ولكنه - سامحه الله - اراد مني ان اسارع في ايجاد الحل ، وهو يعلم ان ذلك لايكون ارتجالاً ، بل يحتاج الى كثير من الوقت والاستقصاء والدراسات المستفيضة ومعرفة الحقائق والوقوف على الوقائع .

ان بلادنا في وضعها الراهن - مع الاسف الشديد - لا تملك من مقومات الدولة شيئاً فهي تعتمد على الاجنبي في كيانها واقتصادياتها .

وهذا الاعتماد لا يدعم دولة ، ولا يبني كياناً ، ولذلك فخطوط الخلاص يجب ان تتجه أولاً إلى الناحية الاقتصادية ، وعلى المسؤولين – من نواب وحكومة وهيئات شعبية – توجيه الجهود للاهتمام بهذه الناحية واللجوء الى احدث الأساليب لاستثمار امكانيات البلاد وانعاشها . وقد يحتاج **ذلك الى قروض من بلاد عربية** ، والى دعوة اصحاب رؤوس الاموال العربية ، الى الأخذ بناصر الاردن ودعمه .

هذا ما يجب ان تدركه الشعوب العربية ، وان المصلحة العربية تفرض على المسؤولين ان يتدبروا هـذه الامور ، ويعملوا جادين على توحيد اهدافهم ، ورسم الطرق العملية للوصول اليها .

الحاجة الى التعب

•

التعب من مقومات الأمة ، وعامل من عوامل نهوضها وتقدمها ، وهو اساس النجاح وعليه يقوم الارتقاء والنمو . ولقد ابتلي العرب في هذه الديار وسائر ديارهم بالراحة والنفور من التعب ، واتقنوا صناعة الكسل ، فكان ذلك من اسباب خمولهم وضعفهم ومن عناصر جمودهم وتخلفهم عن ركب الحضارة وفشلهم في ميادين الحياة والمقاومة والكفاح .

وكيف يستطيع العرب مجاراة الغرب في تقدمه ، وهم لا يملكون القدرة على التعب المنتج ؛ ذلك لان هذه القدرة هي خير ضمان لسلامة الصحة الجسمية والعقلية .

وفي هذه السلامة تكمن الحيوية والنشاط والتقدم ، وعليها تقوم الحركات التي تؤدي الى اطلاق الملكات وتحريك القابليات . ولو لا التعب لما تقدمت الحضارة هذا التقدم المادي العجيب ، فالاكتشافات والاختراعات هي من ثمار التعب والجهود المتواصلة ، بل ان الحركات التحررية والنهضات على انواعها ليست الا وليدة التعب ومن نتاجه .

وحين تخلو حياة الفرد من التعب ، يعتريه تعب من الراحة . وهذه الراحة تطفىء المواهب وتميت العواطف وتلوي الاتجاه كما تميل بالانسان الى الحزن والألم . وقد تكون مصدراً لنوبات القلق والاضطراب النفسي ، يفقد معها ذلك الانسان السيطرة على نفسه . فالذي لا يعرف التعب ، لا يعرف الكفاح ، ومن لا يعرف الكفاح لا يعرف طعم الحياة ، ولا لذة الوجود .

ان الجماعة التي تملك القدرة على التعب ويعرف افرادها كيف يتعبون ، تستطيع التغلب على الصعاب والمشاكل ، وتعرف كيف تعيش وتؤدي رسالة الحياة .

وتقدم الامة يقاس بمقدار ما يملك افرادها من قدرة على التعب ، واستعداد لاستغلال هذه القدرة في العمل والانتاج . وحين تسيطر الراحة عليها وينغمس الافراد فيها يستولي عليها خمول وهبوط في النشاط النفسي ، وتضعف الحيوية وتهزل ، فيحبطها تعب هو اسوأ انواع التعب واكثرها ضرراً وإيذاء ، ذلك لانه ناتج عن قلق واضطراب في التفكير فتبقى على هامش الحياة ، متخلفة عن روح العصر ، لا تعرف الكفاح ولا الحياة بوسائلها .

ومن يدرس النفسية العربية ، وما احاط بالعرب ويحيط بهم في سائر الديار من عوامل التخلف والجمود ، يجد ان الانغماس في الراحة وفقدان القدرة على التعب وما ينتج عنهما من تعب فيه الهبوط والقلق — هي من الاسباب الرئيسية

التي جمّدت مواهبهم ، واوقفت قابلياتهم ، واضعفت حيويتهم فلم يستطيعوا ان يقاوموا الاستعمار ، ولا ان يجاروا روح العصر في التقدم والنمو .

والواقع ان ابتعاد العرب عن التعب قد دفعهم الى الارتجال والفوضى في اعمالهم وحركاتهم ، فكان ما نراه من بلبلة محيطة بهم ، وقلق مسيطر عليهم ، مما افقدهم الحيوية والتنظيم ، وطبعهم بطابع الغموض في تحديد المسؤوليات ، والميوعة في احترام النظام والقوانين ، وميزهم بالمجاملات والاعتبارات الخاصة ، فكانت النتيجة الحتمية التي يشقى بها العرب الآن .

لقد آن للعرب ان يدركوا ان تقدمهم في الحياة سوف يبدأ من الداخل ويقوم اولاً وقبل كل شيء على الانتاج المثمر المبني على الاسس العلمية الصحيحة والاساليب العصرية الحديثة ، ولا يمكن ان تقوم هذه الاسس ولا تلك الاساليب الا متى ادرك العرب انهم في حاجة الى التعب وملكوا القدرة عليه .

سلاح العلم ..

•

« يجب علينا ان لا نعتمد على قوانا الجسمية وحدها ، بل لدينا سلاح قوي جداً هو سلاح العلم . واذا عرفنا كيف نستغله ونستثمره ، استطعنا مضاعفة قوانا وتسهيل مهامنا العسكرية . » هذا ما قاله في احدى الحفلات الدكتور وايزمن لبني قومه منذ ايام . وهذا السلاح ، وهو العلم ، الذي يدعو الى استعماله الدكتور وايزمن هو السلاح الذي استغله اعظم استغلال في الحركة الصهيونية في جميع ادوارها منذ ان كانت فكرة خيالية الى ان اصبحت دولة قائمة . وقد لمس اثر العلم واسلوبه في نجاح الصهيونية في فلسطين . لهذا نراه في كل المناسبات يدعو اليه ويطلب اتباع الطريقة العلمية والاخذ بالاسلوب العلمي . وهذا ما يجب ان يسير عليه العرب في جميع أقطارهم اذا ارادوا ان يسايروا روح العصر ، ويوقفوا الاخطار المحدقة بهم ، ويحافظوا على كيانهم وبلادهم .

لقد اصبح العلم في هــذا العصر كل شيء . وغزا جميع نواحي الحياة ودخل في جميع المرافق ، العمرانية منها والحربية .

فالامم لاتكسب السلم ولا يمكنها الاستقرار والازدهار والنمو الا بالعلم . كما لا يمكنها كسب الحرب والخروج منها رابحة ظافرة إلا بالعلم وتطبيقاته . فليس من العقل والمصلحة ان تعنى الدولة بنشر العلم والاكثار من حملة الشهادات وتقف عند ذلك دون ان توجه عنايتها الى الناحية التطبيقية من العلم ، واذاعة الثقافة الصناعية ، لينشأ جيل جديد ذو عقلية صناعية في استطاعتها الانتاج والابتكار والقيام بمشاريع عمرانية داخل البلاد ، حتى يصبح في مقـــدور العرب ان ينموا ثرواتهم ، ويستغلوا خيرات بلادهم ، ويخرجوا معادنها على انواعها ، وذهبها من الاصفر الجامد ، الى الاسود السائل . فيلبسون من صناعتهم ويأكلون من تعبهم وعرقهم ، ويدافعون عن كيانهم بنتاجهم وعقولهم ، لا ان يكونوا - كما هو الحال الآن عالة على الامم في كل شيء ، يعيشون بجهود غيرهم وعقول غيرهم ..

ان الامكانيات في البلاد العربية واسعة عريضة ، فهي غنية بما فيها من معادن وسوائل وقابليات زراعية عظيمة . ولكن ينقصها العلم والاسلوب العلمي ، والعقلية المنتجة العلمية . وها هم الاجانب في المملكة العربية السعودية وسوريا وفلسطين والعراق وغيرها ، ينعمون بخيراتنا ويستغلون كنوزنا ويعملون جادين على تقوية انفسهم ، وحماية بلادهم بمعادننا وبترولنا ، بل ويعتدون علينا باموالنا ، والعرب لاهون مشغولون بالسفاسف من الامور والصغار من التوافه فحلت بهم كارثة فلسطين ،

وستتبعها كوارث من طرازها ، اذا بقي العرب على ما هم عليه من الجمود والاستكانة وسوء التقدير .

لقد آن للعرب ان يدركوا انه لايمكنهم ان يعيشوا الا بالعلم ، ولا ان يكون لهم كيـــان محترم الا اذا ساروا سيرته واتبعوا طريقته . وعلى العرب في سائر بلادهم ان يوجهوا براجهم التعليمية على اساس ايجاد جيل يؤمن بالعلم ، وينتج بالعلم ، ويقوي نفسه بالعلم وتطبيقاته . وعلى الدول العربية كذلك ان تصرف بعض عنايتها الى البحوث العلمية ، وتشجيع العلم التطبيقي وانشاء المجالس العلمية ، وامدادهـا بالاموال والمختبرات .

لا خلاص للعرب الا اذا طبقوا العلم في جميع المرافق . بذلك يحافظون عـــلى كيانهم ، ويحفظون عليهم هيبتهم وكرامتهم ويسيرون قدماً في طريق النمو والتقدم مع العاملين المنتجين .

العلم والمنطق والحقيقة

•

يحتفل العالم العربي في هـذا اليوم بابن سينا ، بمناسبة مرور الف عام هجري على ولادته ، فقد امّ بغداد العديد من العلماء والاساتذة والادباء ورجال الفكر من الشرق والغرب ؛ ليساهموا في تمجيد عَلم من اعلام العرب الخالدين ، من الذين ساهموا في خدمة الحضارة وامدوا الثقافة الانسانية بخلاصة ما يخرجه العقل الفعال والعبقرية الملهمة . وقد سبق هذا المهرجان احتفالات اخرى ، اقامتها الهيئات العلميـة والادبية والفلسفية في مصر وتونس وبعض الاقطار الاوروبية احيـاء لذكرى ابن سينا وتقديراً لمآثره وتراثه في ميادين الفلسفة والطب والفكر .

وسيعقب هذا المهرجان مهرجان ثان في طهران يشترك فيه الذين اشتركوا في مهرجان بغداد .

ان هذه المهرجانات والاحتفالات ليست الا صورة تعكس تقدير الناس لنتاج العقل والفكر ، وتمجيدهم لمن يكرس نفسه ويحشد جهوده في سبيل تحقيق رسالة العـلم باذاعته ،

والكفاح في سبيل الحق والحقيقة .

لقد ادى ابن سينا رسالة العلم على افعل وانتج ما يكون الاداء ، وحرك مواهبه وقابلياته في ميادين الثقافة الانسانية فاخرج من المؤلفات والرسائل - وقد أربت على المئة - ما جعله من مفاخر العالم ، ومن اشهر علمائه ، واعظم حكمائه ، وفلاسفته . فلقد ابدع في الانتاج وافاض على هذا الانتاج الحكمة والفلسفة بما ادى الى حركة فكرية واسعة ارتفعت بالعلوم والفكر الى النمو والتقدم .

ولعل ابرز ما في حياة ابن سينا ، ايمانه بالعقل والعلم . وفي رأيه ان الاقتراب من الكمال لا يقوم الا على اساس العقل والارادة . وقد دعا الناس الى التفاؤل والايمان بالخير المشترك والخضوع لسلطان العقل . وهذا ما نرى تسجيله ولفت النظر اليه في هذه المناسبة الكريمة ، اذ لو سار العرب في جهادهم ونضالهم على اسس من العلم والمنطق واعمال الفكر والايمان بالخير المشترك ، لكانوا على حال غير الحال الذي هم عليه الآن ، ولما تخلفوا عن ركب الحضارة واكتووا بالجهالات ونار الفوضى والبلبلة والارتجال .

في هذا المهرجان معنى من معاني التقدير والتذكير :

تقدير العاملين الذين يخدمون المجموع بعلمهم ومواهبهم .

وتذكير العرب باسلافهم ، ومساهمتهم في خدمة المدنية .

فلقد قام العرب بقسطهم في ميادين العلم والحياة عندما كانوا احراراً بعيدين عن الاستعمار والقيود ، فلم يكن هناك

ما يمنعهم من الاستمرار في التقدم واداء رسالة الحياة لو لم يعترض تطورهم ما اعترضه من قوى استعمارية ورجعية عملت على شلّ الفكر العربي ، وتجميد قابلياته وحيويته . ذلك لان العرب حين ابتلوا بالاستعمارين التركي ثم الغربي ، وما صحبهما من ضغط على المواهب وقتل للقابليات ، وحرمان من فرص الحياة على انواعها ، اقول حين ابتلوا بذلك ، ضعفت عزائمهم وهزلت هممهم ، واحاط بهم خمول ويأس حتى ساد الاعتقاد بان العرب هم من الامم المتأخرة التي لا تصلح لحمل الرسالات ولا لاداء الامانات .

ان في عرض التراث العربي – وهذا المهرجان من مظاهره – قوة من اجلّ القوى ، وافعلها في حياة الامم ؛ تبعث فيهم العزيمة والايمان كما تدعم روح الاعتزاز والتفاؤل فتدفعها الى الكفاح والنضال واداء رسالة الحياة على اتم ما يكون الاداء .

وحسبنا من هذا المهرجان ان يلتمس العرب في حياة ابن سينا ورسالته المثل والقدوة . فلقد كانت حياته حياة نضال وكفاح في سبيل الحق والحقيقة ، ورسالته رسالة التفاؤل والايمان بالخير المشترك والخضوع لسلطان العقل والمنطق ...

للمؤلف

●

١) تراث العرب العلمي

أصدرته المقتطف بمصر عام ١٩٤١

٢) نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية

بالاشتراك مع جماعة من المؤلفين المصريين

أصدرته المقتطف بمصر عام ١٩٣٦

٣) الكون العجيب

من سلسلة اقرأ رقم ١١

٤) الاسلوب العلمي عند العرب

أصدرته كليه الهندسة بجامعة فؤاد الاول

بمصر عام ١٩٤٦

٥) بين العلم والادب

أصدرته مطبعة فلسطين العلمية بالقدس

عام ١٩٤٦

٦) جمال الدين الافغاني

أصدرته مطبعة بيت المقدس عام ١٩٤٧

٧) العيون في العلم

من سلسلة اقرأ رقم ٧

٨) بعد النكبة

اصدرته دار العلم للملايين في بيروت

عام ١٩٥٠

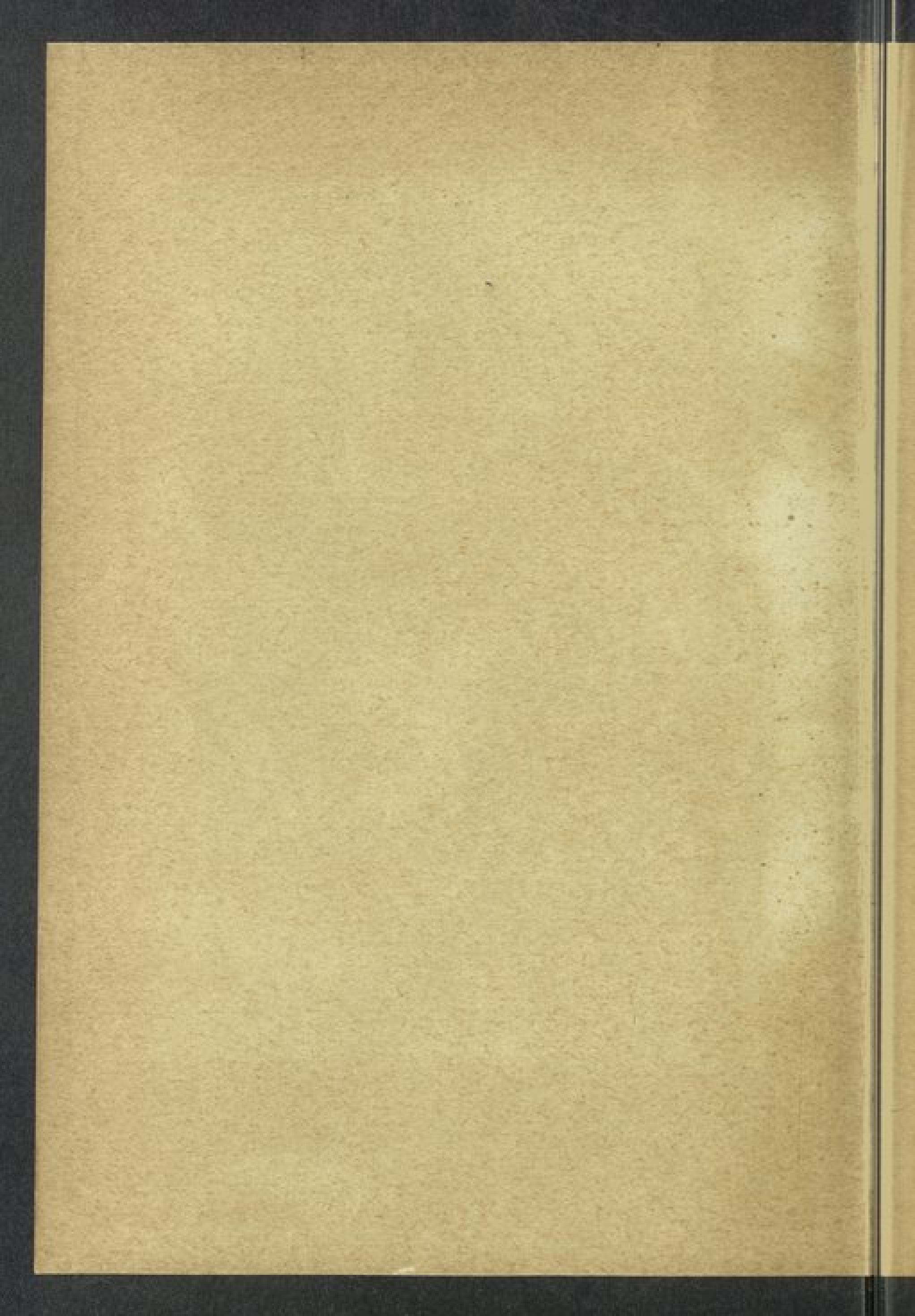
٩) وعي المستقبل

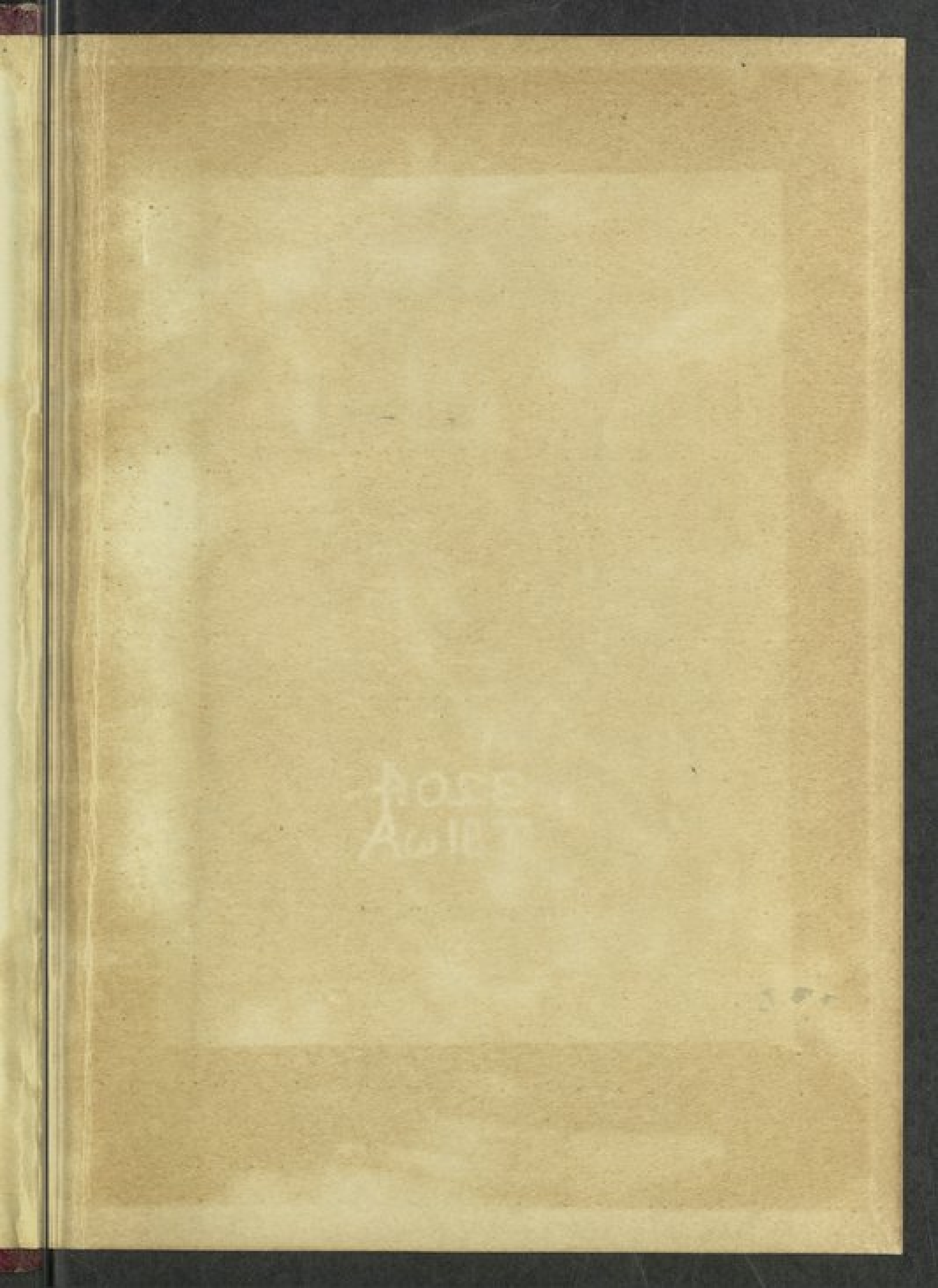
دار العلم للملايين ١٩٥٣

١٠) الخالدون العرب (تحت الطبع)

فهرست

١٠٧٣/٣/٥٣/٢٠٠٠






AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت